دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

ماي ماكنير

قصة اكتشاف الذهب



ترجمة

فاروق يازجي

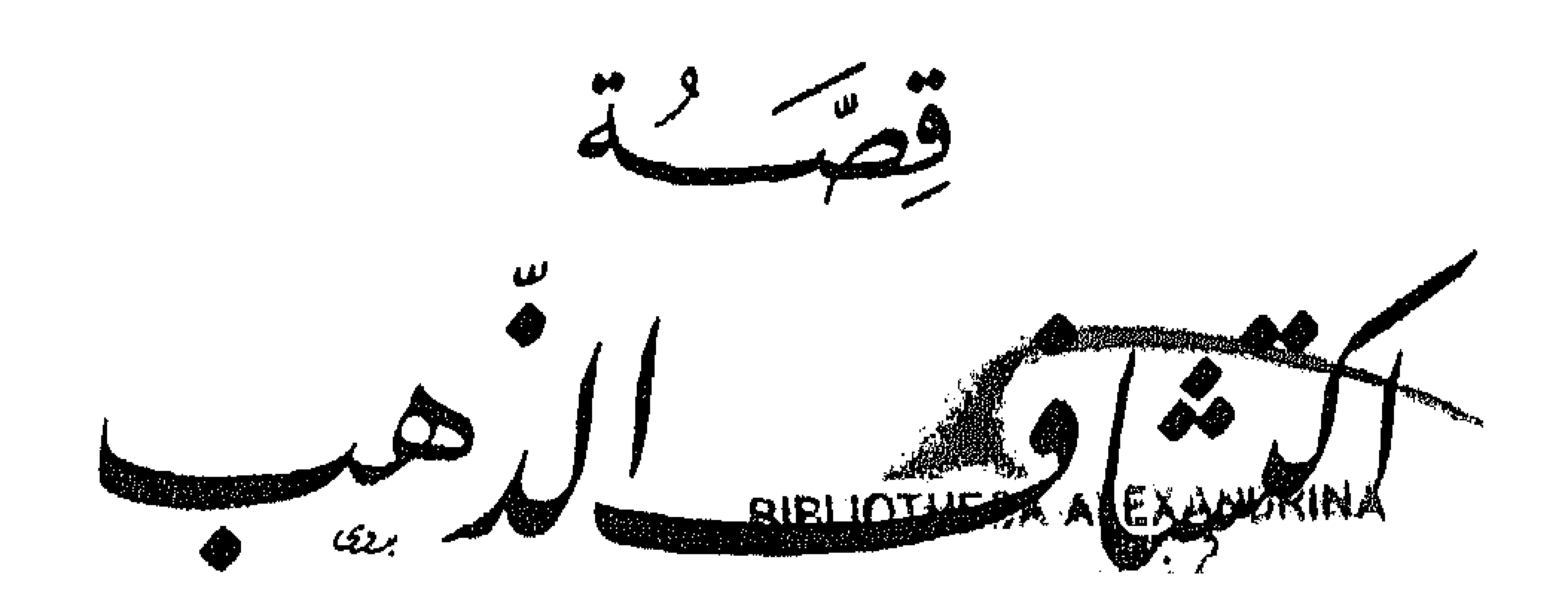
اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/رمزي ذكي

القاهرة

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

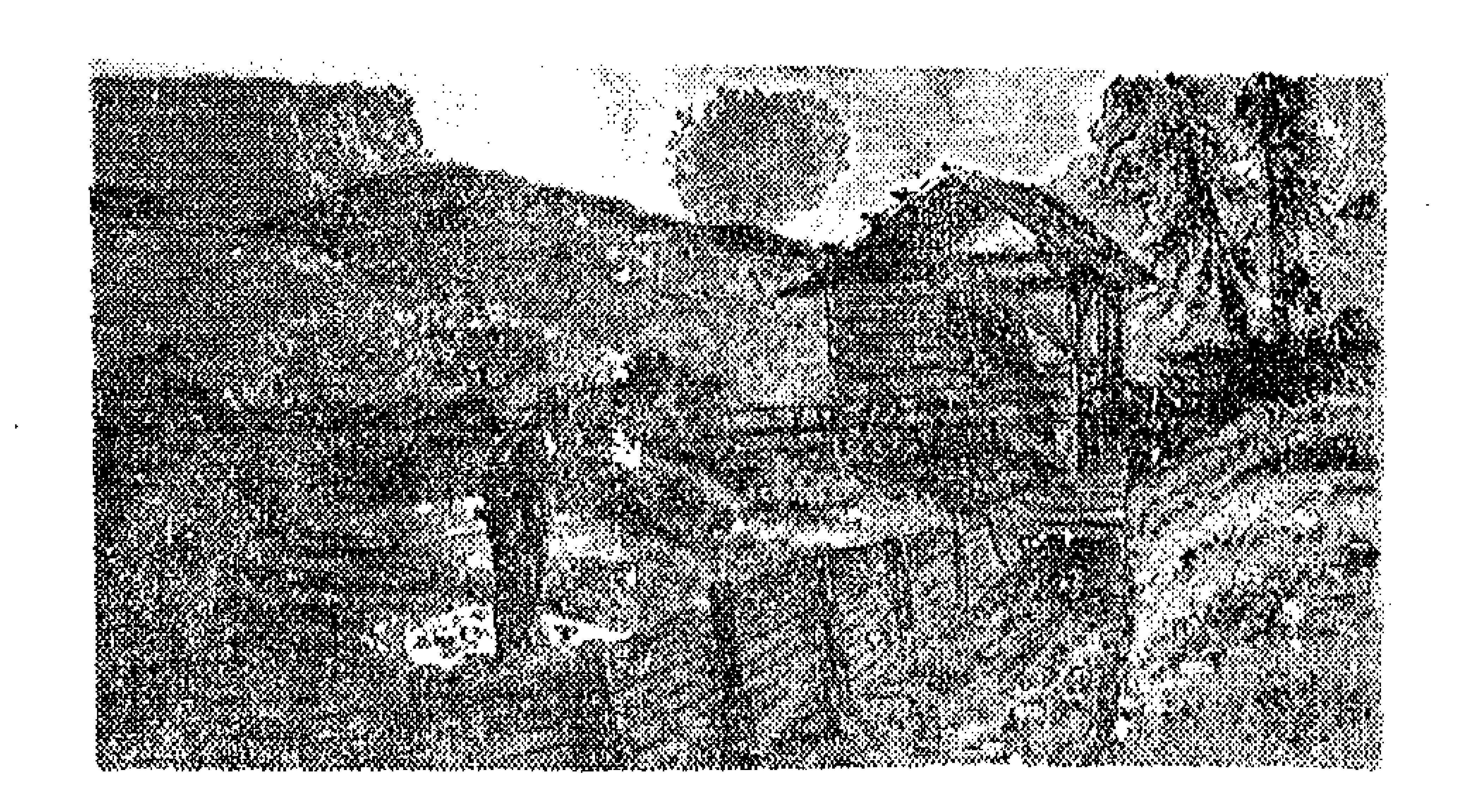
مامي ماكنير



قِصَّةُ اكتشاف الذّهب

ترجمة

فاروق يازجي



١
انه ذهب

في الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني لعـــام ١٨٤٨ كانت شمس الصباح تطل من بين تلال كاليفورنيا تتألق كقطعة نقود ذهبية •

ولم يكن في رحاب تلك البراري الخضر من علائم الحياة سوى دخان يتصاعد بهدوء من نار أعـــدت لتحضير وجبـــة الصباح ، وخيال انسان يمشي في غمرة ذلك الهـــدوء بجانب قناة تمتد من طرف بناء منشرة لم يصل بعد الى النهر • وفجأة توقف ذلك الشبح وحملق بامعان في الارض •

كان جيمس مارشال رجـــلا حازما يعيش وحيدا بـــلا

أصدقاء ، بعيدا عن أهله ووطنه « نيوجرسي » ، كما أن بقية الرجال في «ساتر سفورت» كانوا يعتبرونه غريبا عنهم ، ناعتينه بالغباء. غير أنه كان الرجل الوحيد في كاليفورنيا الذي استطاع بناء منشرة ، واثقا من نفسه أنه ميكانيكي جيد .

ثم رنا جيمس ببصره الى المنشرة التي كان يبنيها «لجون سوتر» ـ المالك السويسري لتلك المنطقة الفسيحة الارجاء ـ وشعر بالاطمئنان والرضاء ، لسير العمل سيرا حسنا اذ انتهى خزان الماء وحفرة القناة لتصريف المياه الى (الاميركان ريفر). ولن يمضي وقت طويل على تجهيز المنشرة الاولى من نوعها في تلك النواحي حتى تبدأ السفن بنقل الاخشاب الى سان فرانسيسكو عن طريق « ساكرامنتو ريفر » .

كان جيمس على عادته في كل مساء يفتح باب الخزان لتجري المياه الى القناة، فتجرف معها كثيرا من الحصى والرمال . وفي الصباح كان يعود ليتفقد حال تلك القناة .

ولكنه أطرق ثانية الى الارض ، عندما لفت نظره شيء ما . وانحنى الى الامام ، اذ وجد هناك شيئا يلمع نوعا ما فيما بين الحصى .

وتمتم لنفسه يتساءل عن كنه ذلك الشيء « ما هذا ؟ ». ثم أقعى على كعبيه والتقط ذلك الشيء المتألق الذي بدا غريبا ثقيلا . وسأل نفسه : « أهو ذهب ! أيمكن أن يكون هذا ذهبا ؟ » .

كانت تلك القطعة في حجم حمصة جافة تبدو أكثر ما تبدو كالنحاس • ولما فركها بين أصابعه بدت وكأنها ذهب •

ثم نهض جيمس مارشال ، ورأى عماله وقد جلسوا حول النار يشربون قهوتهم ويأكلون (فلاب جاكس) • ومن ورائهم كان العمال الهنود يتنقلون بهدوء وهم يعدون طعام الافطار من لحم الغزال المجفف • ثم سار ببطء في اتجاه النار حيث جلس العمال يأكلون في سكون الصباح ووقاره ، وفتح يده يقول : « لقد وجدتها في القناة » •

وتوقف الرجال عن مضغ طعامهم ، وصاح أحدهم : « انها ذهب مزيف » • ثم أخذ يضحك •

وبصق آخر بحذر في عليقة على بعد عدة ياردات ، ثم قال : « انها ليست أكثر من قطع من الحديد • انها ذهب مزيف ، ذلك كل ما في الأمر » •

واقترب الرجل الاول فاحصا القطعة بدقة أكثر من المرة الاولى وقال : « انكم على صواب ، ان هذه المادة تغش الكثير من الناس » •

ونظر الرجال كل واحد منهم الى الآخر نظرة الواثق من نفسه ، المتأكد من صحة فحصه وعلمه •

أما جيمس مارشال فقد عبس وأطبق بيده على تلك الحصوة الصغيرة ، بينما كان الرجال ينظرون اليه باستخفاف •

وعاد أدراجه متخطيا المنحـــدر بخطوات ســـريعة الى حجرة خشبية حيث كان الدخان يتصاعد بطيئا من مدخنة من اللّبن ٠

وهناك شاهد جيمس إليزابيت ويمر — زوجة رئيس عماله — تقف وبيدها عصاة طويلة تراقب غلاية كبيرة سوداء بداخلها صابون وماء يغليان ٠ كانت اليزابيت ويمر احـــدى النساء الاميركيات القلائل اللواتي يعشن في تلك المنطقة التي اقتطعت مؤخرا مـــن المكسيك ٠ لقـــد رفضت أن تبقى في «سوترسفورت» عندما أصبح على زوجها أن يتولى أمر العمال الهنود في بناء المنشرة ٠

اقترب منها مارشال وبسط كفه وقـــال بصوت خشن : « أنظري الى هذا ، ياسيدة ويمر ٠ انه يبدو ذهبا بينما يقول عنه الرجال إنه ليس إلا قطعا من الحديد » ٠

وانحنت السيدة ويمر الى الامـــام باهتمام ، وقبـــل أن يستطيع مارشال أن يوقفها ، أخذت تلـــك القطعة الصغـــيرة وألقت بها في الماء الغالي قائلة : « سنتبين الامر حالا ٠ انها إن لم تكن ذهبا فان الماء المغلي سيأتي عليها بكاملها وبسرعة » ٠

لم يتفوه مارشال بكلمة ، بل استدار وعاد ليتناول إفطاره الذي لم يكن قد تناوله بعد ٠

في مساء ذلك اليوم أحس جيمس بالثقة ثانية وهو يدخل الى الغرفة التي كان يعيش فيها مع العائلة ويمر ٠ إن المنشرة سوف تعمل بشكل جيد وقد عمقت القناة ٠ وفكر في الخشب الذي سوف يقطع في القريب العاجل وبالمال الذي سوف يدره

عليهم ذلك الخشب المحمل من سان فرانسيسكو ـ تلك القرية الخاملة ـ •

وبينما كان يجلس ويدخن غليونه دخلت السيدة «ويمر» الغرفة فجأة ، وتوجهت الى طاولة من خشب الصنوبر وصاحت باعتزاز : « انظر ، انه ذهب ياسيد مارشال » •

ألقت فوق الطاولة بالحصوة الصغيرة الثقيلة التي أخذت تتوهج وتلمع في ضوء الشمعة • فالتقطها مارشال ووضعها على الارض وأمسك بصخرة كانت بجانب الموقد وألقى بها بقوة على تلك الحصوة ، فلم تنكسر • حقاً انها ذهب !

عاد جيمس في فجر اليوم التالي الى القناة والتقط من الشقوق فيما بين الحصى عددا من تلك القطع الذهبية الصغيرة ووضعها بحذر في محفظة من جلد الغزال • ومن ثم عاد الى عمله •

لم يغمض لجيمس جفن في مساء ذلك اليوم • إذ كان خياله في سكون الليل مزدحما بتلك القطع الصفراء المتوهجة التي تلمع في مخيلته وكأنها الشرر •

وفي اليوم التالي تظاهر جيمس بأنه ذاهب الى حصن «سوترسفورت» لاحضار بعض الزاد الذي قل لديه • وطلب من بيتر ويمر أن يتولى الاشراف على العمل في غيابه •

لم يكن مارشال من الذين يسرعون في اسراج خيلهم إلا أنه على كل حال ، ركب قاصدا الحصن الذي يغمره جمال كاليفورنيا من كل صوب • وفي طريقه وعندما أصبح على

مقربة من الحصن أخذ يتأمل قطعان الماشية وهي ترعى العشب الأخضر الغض ، وينحني ليرد تحيات رعاة البقر المكسيكيين من أهالي «سوتي» وهم يلوحون له بقبعاتهم العالية ، لم يكن « مارشال » ليميل الى عازفي القيثار بأبوافهم المجلجلة وشالاتهم الصفراء والقرمزية اللماعة المنشورة على أكتافهم .

كانت القلعة المعقل الاميركي الوحيد في ذلك القطر . فقد اشترى «جون سوتر» أراضي من المكسيك وظل مواليا لهذا البلد حتى سيطرت الولايات المتحدة الاميركية على كاليفورنيا حوالي نهاية الحرب المكسيكية . الا ان القلعة كانت في ذلك الوقت جسرا بين الولايات المتحدة وكاليفورنيا . كما كان « سوتر » يميل بعاطفته الى أميركا ويقدم العون والعمل لكل أميركي يسلك ذلك السبيل .

ولم يكد جيم يدخل القلعة من بوابة في جدار من اللبن يحيط بها ، حتى بدا له وكأنه يدخل مدينة كاملة حيث الحوانيت والمخازن والبيوت . وحيث كان يسمع قرقعة مطرقة الحداد الى جانب أغنية اسبانية ناعمة تغنيها امرأة مكسيكية ، وهي تغسل على حجرة مسطحة .

ثم اتجه «مارشال » مباشرة الى بيت «سوتر» ، الذي أفزعه شدة تأثر «مارشال» ، ولكنه سأله بطريقته الهادئة : « ما الأمر أيها السيد « مارشال » ؟ هل شن الهنود الحرب ثانية ؟ » .

فتح مارشال حقيبته بعناية وأفرغ محتوياتها على مقعد . وهنا قفز «سوتر» إليها وعيناه تبرقان وقال : «انها تبدو كالذهب

ياسيد «مارشال» • من أين أتيت بها ؟ » فردجيمس قائلا : «من قناة الطاحونة • يوجد هناك الكثير الكثير منها » •

ووضع الملاك أصبعه الثخينة على أنفه يفكر « كيف يمكننا أن نتبين ••• آه لقد عرفت » • واتجه الى مكتبه فتناول منها موسوعة صغيرة الحجم وهو يقول : « هنا الحل، يمكننا أن نجرب » •

انكب « سوتر » فوق الكتاب لفترة من الزمن وهو يقرأ قواعد اختبار الذهب فيما اذا كان صافيا أو مشوبا بمعادن أخرى • ثم أرسل «مارشال» ليحضر بعض النقود الفضية من أي شخص يملك مثل تلك النقود في القلعة • ومن ثم تمّ الاختبار وظهرت النتيجة • إنه ذهب صاف غير مشوب بالفضة أو النحاس !

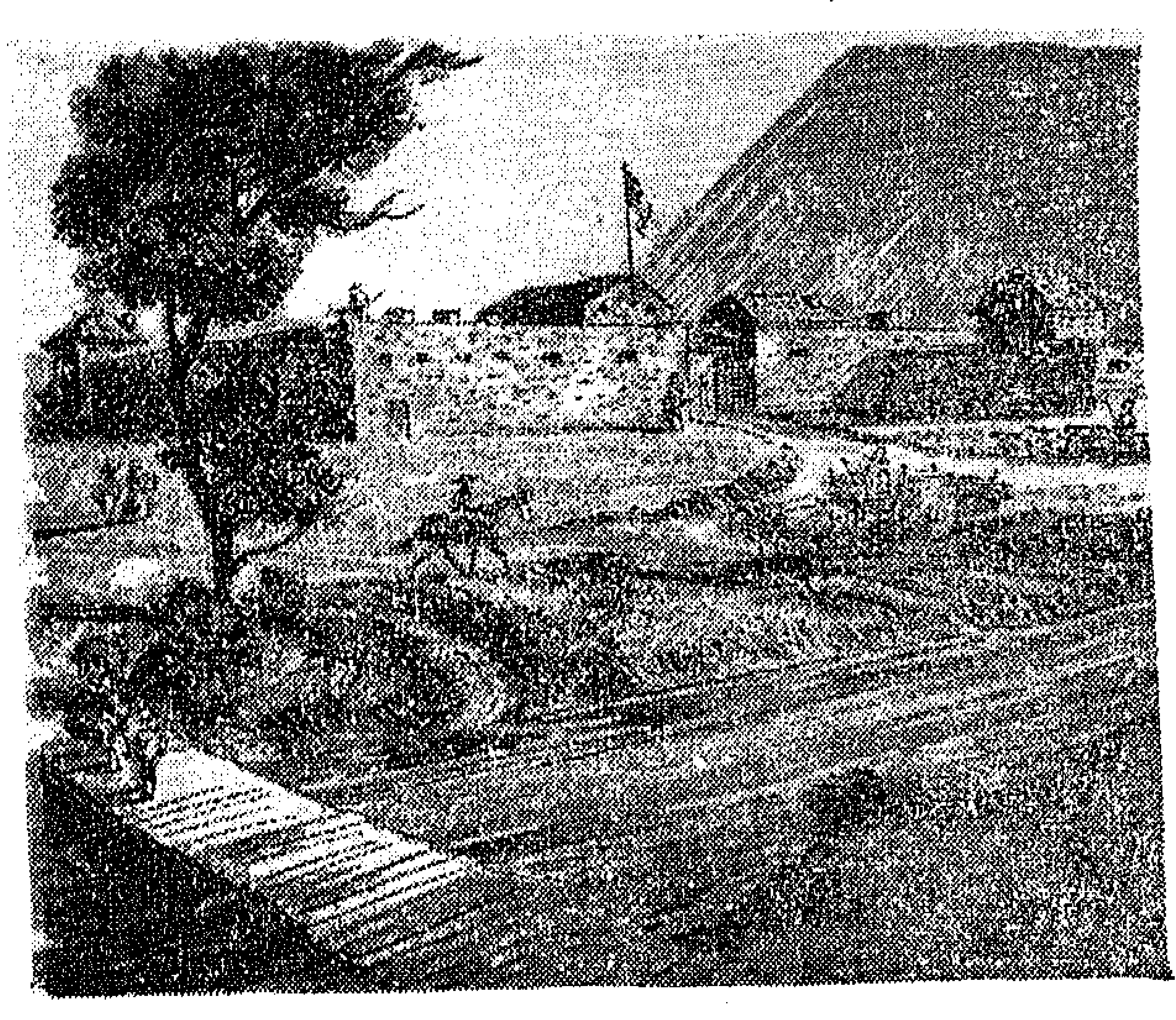
جلس « جون سوتر » في كرسيه طويلا يحملق أحيانا في السيد «مارشال» الذي جلس صامتا • وأخذت الافكار تجول في خاطره ، وبدا له العالم شيئاً سحرياً • ذهب ! كم يمكن أن يحتوي النهر بل ربما كل أراضيه من الذهب ؟ وهل يكمن الذهب الصافي تحت تلك السطوح المتموجة لحقول القمح وتحت تلك المراعي حيث الخيل وقطعان الماشية ترعى بالآلاف؟ وما مصير مملكته الصغيرة التي يتربع على عرشها كملك ؟

وفجأة عبس «جون» وعض على شفته السفلى • لقد اعتراه خوف مفاجىء من أن يفقد كل شيء كان قد حصل عليه بعد كفاح طويل بفعل هذا الحدث الجديد • ثم التفت الى «مارشال»

وقال له بهدوء : « مارشال ، إنه لمن الافضل لنا ألا تتكلم في هذا الموضوع • علينا في باديء الامر أن نفكر فيما سنفعل • دعنا نلتزم الصمت لمدة » •

أحنى «مارشال» برأسه موافقا • كيف لا والموضوع يتعلق بثروة طائلة كان هو قد وجدها ، لقدأصبح من الافضل له الآن أن يحتفظ بالأمر سرا عن أولئك الذين يحطون من قدره،بل وربما سيحاولون أن يسرقوها منه •

وعاد «مارشال» ليسرج حصانه • واتخذ من سفوح التلال طريقا له بين الحقول المعشوشبة وقد موجتها الريح وغمرتها أشعة الشمس ففاضت بلون ذهبي متألق براق• يالها من أرض ذهبية ! جداول ذهبية ! تربة ذهبية ! كلها وما فيها يجب أن تكون له ، أو لم يجدها هو بنفسه ؟





(٢)

طب رديء

مضى شهران و «جون سوتر» لا يزال محتارا فيما سيفعله . كما حافظ «جيمس مارشال» بدوره على السر في منطقة «أمير كان ريفر» . غير أن العمال بدأوا يتكلمون عن الذهب . وصادف أن نقل «بيتر ويمر» الخبر في زيارة له لمخزن (يرانان) في سوتر سفورت ، فلم يبد أحد في بادىء الامر اهتماما يذكر للموضوع . الا ان كلمة « ذهب » تفعل فعل الشرر الملتهب

في العليقة ، تبدأ ببصيص نور هنا ليصبح وهجا هنـــالك ، لايزيد النور في البدء عن وميض حشرة من الحشرات المضيئة، ومن ثم تندلع نار ناشطة متوهجة محرقة .

وسقطت الشرارة الاولى في القرية المكسيكية التي كانت قد سميت حديثا «بسان فرانسيسكو» بعد مطالعة العمدة الاميركي (الذي كان يشغل هناك منصب العمدة والقاضي) . ولقد رمى « سام برانان » بتلك الشرارة بعد جولة قام بها في تلك الربوع بعد أن عثر على بعض الذهب . ثم أخذ يخبر كل من صادفه في طريقه قائلا : « لقد وجد الذهب في القرب من منشرة « جون سوتر » في المنطقة الاميركية . انه ذهب ! ذهب حقيقي » .

وضحك رئيس تحرير جريدة كاليفورنيا ستار الاسبوعية عندما سمع بالخبر لأول مرة . ثم سمع المزيد، غير أنه لم يعد يضحك ، ولم تمض سبعة أيام حتى كان رئيس التحرير هــذا مع صديقين له على ظهر القارب الشراعي « الأميليا » الذي كان «سوتر» يستعمله لنقل الاخشاب والجلود من مزرعته الى المدينة . وبعد سبعة أيام أخرى استغرقتها رحلتهم عبر نهر «ساكرامنتو» . وطئت أقدامهم اليابسة مرسى النهر الذي كان يدعى « الامباركاديرو » لأهميته وأسرع أحد الهنود حين شاهدهم وولى الأدبار . فقال كامبل : «ما أمر ذلك المتوحش؟ هل خاف منا ؟» .

وضحك قبطان « الأميليا »وأجاب : « انه أحد الهنود الموالين لسوتر ، لقد ذهب ليعلن نبأ وصولنا » .

ولم يمض طويل وقت حتى عاد ذلك الهندي بصحبة أحد رعاة البقر المكسيكيين الذي قدم لهم بكل احترام خيلا مسرجة ليركبوا الى القلعة حيث قام سوتر باستقبالهم ٠

كان جون سوتر مضيافا ، لا يتوانى عن اظهار كرم ضيافته الى الزوار الذين أتوا من (نيو هلفيتيا)، والتي اعطيت هذا الاسم تكريما لسويسرا ، الوطن الأم لعائلة سوتر ٠

ما أن أجلس جون سوتر الرجال الثلاثة الى مائدة كبيرة وطلب من النساء الهنديات احضار اللحم والمشروب حتى تكلم المحرر كامبل قائلا : « أيها الرئيس سوتر ، ان سان فرانسيسكو ملأى بقصص غريبة عن وجود ذهب عند المنشرة ٠ فهل هذا صحيح ؟ » ٠

عض السويسري المتوسط العمر على شفتيه وعبس ، ثم هز كتفيه هزة خفيفة وابتسم يقول : « نعم يا أصدقائي ، ان نجاري قد وجد بعض القطع الصغيرة من الذهب ٠ الا انني لا أعلم مقدار ما يوجد منه في القناة ، لعله ليس كثيرا ٠ واذا كنتم تريدون الذهاب لتروا ذلك فسنذهب غدا صباحا ٠ ماذا تقولون ؟ » ٠

فأجاب كامبل : « شكراً أيها الرئيس ٠ إننا نرغب في ذلك ، مع اعتقادي بأن الذهب الذي اكتشف لا يوجد بكميات كبيرة ٠ الا أن هناك الكثير من الكلام يدور على ألسنة الناس في جميع أرجاء المدينة ، وأرغب بدوري في أن أنشر تقريرا صحيحا ٠ سنذهب اذا لم يكن في الأمر ما يزعجك » ٠

وفي اليوم التالي كان الرجال الثلاثة على أحصنتهم عند باب القلعة ينتظرون بكل أدب الملاك البدين . وفي الطريق سأل أحد أصدقاء كامبل : «أيها الرئيس سوتر، كم عاملا لديك في هذه المزرعة الفسيحة الارجاء ؟ » .

فابتسم جون ابتسامة ضاقت معها عيناه وقال : « لا أعلم العدد في أغلب الاحيان ، الا انهم اليوم مائتان . وعندما نحصد القمح يبلغون الاربعمائة ، الا أن لدي عمالا دائمين من الحدادين ودباغي الجلود والنساجين والصيادين والمزارعين والنجارين ، الى جانب رعاة البقر والأغنام . بعضهم من هاواي من ساندويتش أيلاندز والآخرون من المكسيك والهند وأميركا » .

وسأل آخر : « هل تقومون بدرس هذه الحنطة أيضا ؟ » .

وضحك الرئيس البدين وأجاب : «إننا نقوم بكل شيء هنا . أتمنى لو ترون الدراسة بأنفسكم . اننا نضع الحنطة كومة كبيرة كجبل ونتركها شهرا ، ثم نطلق عليها دائرياً خيولا برية يقودها هنود بصراخهم وعويلهم . وبهذه الطريقة يُدرس ألفا مكيال من الحنطة خلال ساعة واحدة . إنها احدى طرق أهالي كاليفورنيا في دراسة القمح، وهي الأفضل والأسرع» .

وعندما وصل الركب الى أميركان ريفر، كانت القناة في حالة فيضان ، والمنشرة معطلة والرجال غير قادرين على العمل .

حيا مارشال الرجال بتجهم . أما جون سوتر فقد قال

له : «أولئك الرجال أتوا ليروا مناجم الذهب، ياسيد مارشال!» فلم يكن من باني المنشرة الا أن قال: « كيف لهم ذلك ؟ » لقد غضب لتسرب النبأ الذي لم يعد سرا •

وسأل المحرر بلطف : « أين يمكننا أن نجد الذهب يا سيد مارشال ؟ » الا أن جواب مارشال جاءه فظاً : « يمكنك أن تجده في أي مكان تفتش فيه عنه » •

نظر الرجال كل منهم الى الآخر وهزوا أكتافهم ثم اتجهوا بخطاهم الى القناة• وبعد مسير ساعة توقفوا عن التنقيب حيث أنهم لم يوفقوا الى ايجاد أي شيء من الذهب ما خلا شخصا واحدا منهم •

كان الظلام يخيم بسرعة على الجبال ، وكان الضيوف الذين أتوا من الساحل يذعرون لرؤية هنود كولوما وقد أتوا مثنى وثلاث لتحية جون سوتر كعادتهم دائماً عندما يأتي جون الى منطقتهم •

ثم جلس الهنود القرفصاء حول نار تضيء لهم معالم المكان• ومن ثم وبشكل مفاجىء نهض زعيمهم العريق النسب واقترب من النار وتكلم بكل وقار بلغة اسبانية ركيكة : «هل تبحثون عن الصخر الأصفر الثقيل ؟ لقد عرفه آبائي حيث شاهدوه في التربة وعلى ضفاف الأنهر • انك صديقي أيها الرئيس سوتر ، وأنا أقول لك انها لشيء سيء تلك التربة الصفراء • إنها شيء سيء يخص مارد الجبال الجبار ، وكل

من يبحث عنه سيقضي عليه ذلك المارد الجبار » •

فسأله أحد الضيوف :« وأين يعيش ذلك المارد الجبار؟»
فأجاب الزعيم : « في بحيرة من الذهب على مسافة بعيدة بين الجبال • إن من يحاول أن يذهب الى هناك لايعود مطلقا • لا تبحثوا عن تلك التربة الصفراء انها دواء رديء » •

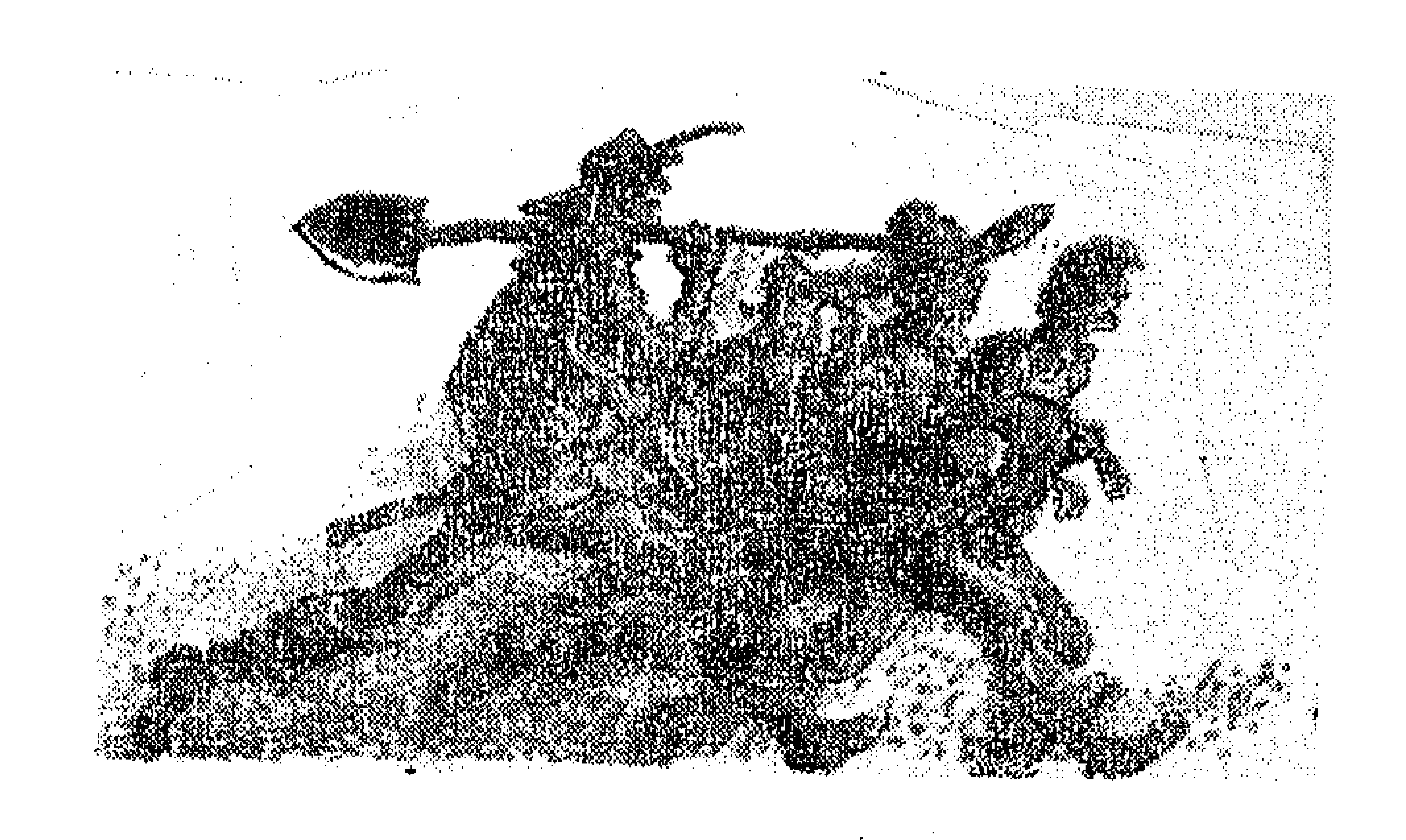
في صبيحةاليوم التالي عاد جون وصحبه الى نيوهلفيتيا ، ومنها استقل المكسيكيون ظهر القارب الشراعي في طريق العودة • وحال وصولهم الى سان فرانسيسكو نشر المحرر كامبل في صحيفته بشكل رسمي نبأ اكتشاف الذهب، وأضاف الى ذلك تقريرا عن زيارته للمنشرة • وقال رغما من تأكد وجودالذهب ، إلا أنه قليل الكمية • وأنهى مقاله بنصائح بلغت نصف عمود • ينصح فيها المزارعين والميكانيكيين وكل من يدير عمله بنجاح بأن يتمسكوا بواجبات أعمالهم ويتركوا مناجم الذهب لشأنها •

وأخذت اللهبة الذهبية تتأجج وتزكى نارها على كل لسان في قرى كاليفورنيا ومدنها الصغيرة • الذهب ! لقد وجد الذهب في المنطقةالاميركية، وبالامكان إلتقاطه باليدين • ذهب ! ذهب ! انه الذهب في كل مكان ! وامتدت اللهبة الى السفن في المرافيء ، والى الصيادين في سوترسفورت حتى نهر الأراغون •

ثم اندلعت الشرارة في العالم كله • انه الذهب في كاليفورنيا ، انه المال والغنى ، الشهرة والثروة ، المغامرة

والاثارة ، انه كنز مخبأ . هذا كله كان صدى لكلمة واحدة لدى الاميركان والتشيليـين والصينيين والالمـان والانـكليز والفرنسيين واليونانيين .. لدى كل انسان . انه الذهب !





(٣)

حفرة الشيطان

في مونتري، وحوالي أواخر شهر أيار من عام ١٨٤٨ استمع الاميركي وولتر كولتون من البحرية الاميركية الى كلام عن ذهب وجد في منطقة الاميركان ريفر • كما استمعت الى كلام من هذا القبيل بلدة مكسيكية صغيرة تقع على بعد تسعين قدما من سان فرانسيسكو غير أنها سخرت منه •

وضحك أحد الاسبان لمثل هذه الاخبار وقال لفتاته :

« يقولون أنه قد وجد الذهب في أميركان فورك • ويقولون أيضا ان غرابا أبيض شوهد وهو يلعب مع ابن السيد مارتيني كما أنهم يقولون ان الذي دق أجراس الكنيسة منذ يومين لم يكن سوى بومة ! انهم يقولون ويقولون ، ولكن ما الذي لايقولونه ؟ » •

ثم جاء غريب الى مونتري وأظهر للناس في البلازا قطعة صفراء لمعدن خام تزن حوالي أوقية • فأسرع السيد روريجوس المتقدم في السن وتناول نظارته المقربة ليلقي نظرة على تلك القطعة • كما أن بعض الرجال أراد أن يشمها ، وبعضهم الآخر أراد أن يسمقها بمطرقة • أما القسيس فقد اقترح صهرها • ثم تقدم رجل أديب وتناول القطعة ووضعها على رأس عصاه الذهبي وصاح عاليا: « أيها السادة ! ان ما أحضره هذا الغريب ذهب حقيقي ! اني أتحدى أي شخص يمكنه أن يجد أي اختلاف » •

غير أن أغلب الناس لم يصدقوه •

وبعد أن اشترى الغريب مؤونته ترك البلازا وابتعد هو وذهبه معه • غير أن العمدة فكر في الأمر هذه المرة واعترته الحيرة • ثم لم يلبث أن أرسل أحد رجاله ليتحرى حقيقة الوضع في تلك المناجم البعيدة التي لم تكن آنذاك مناجم بالمعنى العلمي •

وبعد زمن انتشر في المدينة الصغيرة خبر عودة ذلك الرسول، فتجمع على الاثر جمهور في البلازا لتحية الرسول العائد. وتلاشى كل شك من الاذهان عندما بدأ الرسول يخرج كتلا من الذهب من حقيبة من جلد الغزال ، فأخذت الاصابع المتحمسة تتلمسها بشغف .

وفي اليوم التالي كانت البلدة نصف خاوية . وأصبح وولتر كولتون عمدة لجماعة من النساء والاطفال والرجال القلائل الذين أقعدتهم شيخوختهم عن الركوب والمغامرة . فالحداد رمى بمطرقته وعاف المزارع منجله حتى أن الخباز ترك خبزه عجينا وهجر البحار سفينته .

واستقلت امرأة عربة حملتها بأشياء بيتها وغادرته بسرعة لم تمكنها من جمع ما استحق لها من أجرة من مستأجريه . ولم يبق في السجن سوى رجلين كانا يرسمان خطة الهرب في أول فرصة سانحة تتاح لهما .

كان العمدة يراقب هذا كله وهو في حيرة من أمره . وأصبح من واجبه ـ والحالة هذه ـ أن يسحب الماء من البئر بيده، وأن يشتري حطبه ويطبخ أكله ، لان جميع خدمه كانوا قد اختفوا . وهكذا وجد العمدة أنه لايستطيع أن يتحمل هذا الوضع ، وأن عليه أن يذهب بنفسه حالا الى المناجم ليرى ما يجري هناك . وقال لنفسه: «بعد ذلك يجب أن أرسل تقريراً من هناك الى الحكومة » .

وفي صباح اليوم التالي عندما خرج العمدة ليسرج خيله

شاهد رجلا اسكتلنديا يترنح في الشارع كأنه مريض • فاتجه كولتون الى ذلك المسكين وسأله: « ما بك ياصاحبي ؟ هل أصبت بحمى ؟ » •

فاستقام الرجل الاسكتلندي وقال: « كلا، انها ليست الحمى، كلا ليس كذلك • انه شخص رأيته في الحانة ومعه كتلة من الذهب بحجم قبضة يدي • لقد أصابني مغص حاد لمرآها وهي ليست لي أنا » •

ثم تابع سيره يترنح حتى غاب في منعطف عند نهاية الشارع • ودهش كولتون للأمر ثم أخذ يضحك ويسرع في حزم متاعه ووضعه في عربة مع الزاد والأدوات • وكان مرافقوه في سفرته أصدقاءه ، الرئيس مارسي والسيد بوتس والسيد ولكنسون • كما ربط العمدة وصحبه الى العربة أربعة من الجياد اعتبرها كولتون أقوى ما يمكن الحصول عليه في ذلك الوقت نظرا لكونها خيلا مشاكسة لم تكن قد تعودت السرج بعد •

ولم تكن رحلتهم صعبة حتى موقع سان جوز حيث حطت هناك ارسالية تبشيرية • وفي طريقهم بعد أن تركوا سان جوز وتحركوا باتجاه التلال فيما وراء نهر سان جوكوين ، توقفوا ليلاحظوا قطيعا من الخيول البرية يندفع كالصاعقة • وهنا شد الرجال قيود خيولهم خوفا من أن تلحق بالقطيع الذي كان قد اجتازهم الآن محدثا ضجة عظيمة • ثم تابع الموكب طريقه الملتوي بين التلال وأخذ يتقدم في مناطق أكثر وحشة •

وفي احدى الممرات التقى الموكب بعدد من الرجال في ثياب ممزقة وسخة وقد بدت عليهم معالم جوع قاتل • وقد هرع الرجال لرؤية المسافرين من مونتري يطلبون منهم الطعام • فتوقف كولتون عن السير ولبى طلبهم • وما أن شبع الرجال حتى تناولوا من حقائبهم المعلقة في أكتافهم ما يكفي من الذهب ليبعث الدهشة في القادمين الجدد• لقد أرادوا أن يدفعوا ثمن طعامهم ذهبا غير أن كولتون رفض ذلك • وانصرف الرجال باتجاه النهر ، بينما تابع كولتون طريقه وهو يهز رأسه دهشة من الثياب المهلهلة التي كان يرتديها هؤلاء الرجال وشدة الجوع على الرغم من جميع الذهب الذي كانوا يحملونه•

وأخيرا بلغ الركب موطن الذهب• ونصب كولتون ورفاقه خيمة قرب جماعة من العمال كانوا يحفرون الطبقة السطحية لواد ضيق ثم يخرجون في نهاية يومهم ببعض أوقيات من القطع الذهبية على شكل بذور صغيرة مغبرة لامعة• فاستعد كولتون للعمل وشمر عن ساعده وابتعد عن وحل الوادي واتجه الى الصخور وأخذ يضرب فيها بعتلته • وهكذا استطاع العمدة أن يتبين بين الشقوق ذرات صغيرة من الذهب بدت كأنها حراشف متألقة •

ثم تابع كولتون وصحبه بعد أيام رحلتهم الى السهل • وهنا وجدوا مخيما غريب التكوين ، عرفوا عند اقترابهم منه أنه مخيم هندي • وما كادوا يبلغونه حتى اتجه اليهم رجل أبيض وحياهم بتهذيب وقال : « اسمي مورفي • أتسمحون بأن

تترجلوا وأن نأكل معا ؟» .

جلسوا معا تحت شجرة، ونادى مورفي امرأة هندية طويلة وطلب منها أن تحضر الطعام ، وقال : « تلك هي زوجتي وهي ابنة الزعيم . وأولئك الهنود يستخرجون الذهب لي » .
فسأله عمدة مونتري: « وهل تدفع لهم شيئا مقابل عملهم؟» .
فهز مورفي كتفه وقال : « اني أؤمن لهم أكلهم ولباسهم . وأذبح لهم كل يوم ثورين فيشبعون ويسمنون بهما ويرضون بما هم عليه . ولم تحدث لي أية مشكلة معهم لاني لا أسمح لهم بالمشروبات هنا. لقد صادف مرة أن أحضر أحدهم برميلا صغيرا من الروم فأعطيته مهلة خمس دقائق ليتخلص منه وإلا حطمته . ان الشراب ليهدم أشد الناس بأسا .

ووافقه كولتون على رأيه ، حيث ان معظم الحوادث التي كان ينظر فيها في محكمته كانت نتيجة تأثير المشروبات القوية التي يقدمها البيض للهنود .

وبينما هم يتابعون طريقهم ليروا حفريات أخرى اذا بهم يصادفون شخصا يبحث بين بعض الشجيرات . فتوقف العمدة وسأله : « هل أضعت شيئا يا صاحبي ؟ »

فأجاب ذلك الشخص الذي كان بحارا استغني عن خدماته في السفينة سافانا : « نعم لقد أضعت شيئا ما . كنت قد ملأت فنجاني بقطع من معدن ثمين ، وفجأة صدم معولي ذلك الفنجان الذي ضاع عن نظري وتطايرت محتوياته . والآن لا أستطيع أن أجد شيئا » .

وترجل كولتون ليساعده ، فوجدوا الفنجان خاليا من الذهب . ثم عاد العمدة فركب خيله وابتعد مفكرا في البحار المسكين جونز وفيما اذا كان بامكانه أن يسترجع ذهبه الضائع .

بعد عدة أيام وبينما كانوا يسيرون عبر واد جميل بدا لكولتون أنه رأى شيئا ما يتحرك مقابل الصخور المرتفعة على مسافة قريبة منهم . وعندما ذهب ليتحرى الامر وجد كولتون رجلا مكسيكيا مسنا يعمل بجهد كبير في صخرة من الغرانيت والغضار . كانت الصخرة قاسية لدرجة أن ذلك المسن المسكين وجد صعوبة عظيمة في تحطيمها . فسأله كولتون : لِمَ هذا ؟ ماذا تتوقع أن تحصل من تلك الصخرة ؟ » .

فرد الرجل قائلا : « ياسيد ، أتوقع أن أملأ جيبي بالذهب » .
فقال كولتون : « وما الذي يجعلك تعتقد ان هناك ذهبا ؟ اني لا أرى أية علامة على ذلك » .

وتوقف الرجل المسن ومسح جبهته السمراء من العرق بظهر يده الخشنة ثم أشار الى الوادي قائلا : « أترى تلك الحفرة في الصخر المقابل لنا ، انها حفرة نفخها الشيطان . لقد نفخ فيها الشيطان وأرسل بذهبه في هذا الصخر » .

ولم يتمكن كولتون من أن يكتم ابتسامة علت شفته ، ثم تابع سيره . وعلى بعد ميل ترجل ليخيم بقرب عمال يحفرون .

وفي اليوم التالي عرج الرجل المسن على المخيم وقبعته ملأى

بالذهب • ولم يلبث ان عاد ومعه عـــدد من العمال فحطموا الصخور هناك ولكنهم لم يعثروا على أثر للذهب •

وعندما أخلوا المكان ، عاد ذلك المكسيكي بكل هدوء وأخذ يحفر في الصخر • ثم عاد ثانية بقبعته ملأى بالذهب • فعاد العمال ثانية وحفروا في الصخر دون جدوى •

فالتفت المكسيكي المسن الى كولتوف وقال : « هذا هو كل ما نفخه الشيطان في حفرته من الذهب • لقد أخذته نفخه ليكون لي •



وعندما عاد العمدة الى مقر عمله في مونتري أرســـل تقريراً الى حكومة الولايات المتحدة عن حقيقة وجود الذهب بكميات كبيرة في تلال كاليفورنيا • وأبدى دهشته وحيرته

من الناس الذين يذهبون ثم يعودون بتلك المادة السحرية •

لقد كان هذا نوعاً من الحمى ، حمى كانت تغير وجه تلك الارض بين ليلة وضحاها ، حمى كانت تنتشر في العالم • وجالت في خاطر كولتون كلمات ذلك الاسكتلندي فابتسم لأفضل تعبير عن ذلك الوضع : « إنهــا حمى الذهب • »



٤

لنذهب !

وحدث أن وقعت بين يدي شخص من انديانا جريدة تصدر في مدينة سان فرانسيسكو الصغيرة فقرئت حتى عرف الجميع ما فيها ولم يبق منها الا بعض الاجزاء المهترئة • ولقد نقلت تلك الجريدة كلمات العمدة كولتون : « إن الجداول معبدة بالذهب ولقد انتفخت الجبال برزم الذهب • انه يتأجج في رمال الوديان ويتألق في قمم المرتفعات الشديدة الانحدار » • نشرت الجريدة المحلية هذا الكلام ثم نصحت الناس بأن لا يكترثوا بهذه التقارير التي يمكن ألا تكون صحيحة •

ومن ثم قرأ حداد في مدينة انديانا اعلانا في جريدة من الشرق عن آلة لتحرير الذهب أينما كان في الارض • وبعد أن (حدا) خمسين حصانا جمع ثمن تلك الآلة الغريبة وأرسل يطلبها • ولما حصل عليها قام بكل فخر يعرضها على أهالي القرية الذين تجمعوا حولها ، فقرر أغلبهم الذهاب الى كاليفورنيا مع الحداد الذي كان قد بدأ يعد عدته للرحيل ووجهه يطفح بالسرور لتلك الآلة • وبعد أن انكب الرجال يقرؤون كتيب الدليل الى كاليفورنيا ، سارعوا في شراء القمصان والقفازات والقبعات المكسيكية ثم بدأوا يفتشون عن عربة مغطاة وعدد من الثيران القوية •

لقد كان لدى احدهم كتاب « الدليل الى كاليفورنيا » وفيه وصف لتلك المنطقة بذاتها حيث شبهت فيه بالالدورادو الجديد (والالدورادو كلمة اسبانية تعني الرجل المطلي بالذهب) • كان المكتشفون الاسبان قد أطلقوها على طقوس قديمة للقبائل الهندية في جنوب اميركا • إذ كان الكاهن الاعلى في احدى احتفالاتهم الدينية يغطي نفسه بغبار الذهب ثم يقفز في بحيرة مقدسة تدعى إلدورادو أيضا • ومن ثم أصبحت كلمة إلدورادو تعني (ارض الذهب) • وكان وصف أرض الذهب هذه هو الذي حمل سير ولتر رالي على الذهاب الى جنوب أميركا في عام ١٥٩٥ • كما أن قصة الالدورادو الخيالية في كاليفورنيا هي التي جذبت الآلاف الى الغرب مرة ثانية في عام ١٨٤٩ •

أضف الى ذلك ان الكتاب كان يحتوي على فقرة تبحث في تشكل الذهب في الارض ، كما كان يحتوي على خريطة لم تكن في حالتها آنذاك تظهر الشيء الكثير عن كاليفورنيا •

وبينما كانت الاغلبية من الناس تخاف محاولة القيام برحلة عبر ذلك القطر الغربي الفسيح الذي كان يدعى بالصحراء الاميركية ، أضحت الآن لا تبالي بشيء لما تثيره حمى الذهب



في قلبها وفكرها من حماسة وخيال ، ولذلك كانت حتى هذا الوقت عدة عربات للمسافرين قد عبرت تلك الاراضي التي سبق ان اكتشفها من قبل جون خريمونت •

ثم انتقل الخبر الى الجنوب من كاليفورنيا • ففي

تشارلستون وقف شابان امام واجهة احدى المخازن وقد دهشا لرؤية آلة للتنقيب عن الذهب عرضت فيه الى جانب كتلة ذهبية متوهجةمتألقة • وقال أحدهماللآخر : «ياصاحبي، أتمنى لو كان لدي كتلة كهذه • هل يمكن أن أملك شيئاً كهذه ! » فأجابه الآخر : « يقال انك تستطيع الحصول على مقدار كهذا من الذهب في وقت قصير جداً هناك في كاليفورنيا » • فقال الاول : «تلك الكتلةهي من الذهب الخالص كما تشير الى ذلك الملاحظة التي عليها ، لم أر مطلقاً مثيلا لها في حياتي » • وهنا التفت الصديق الآخر وقال باعتزاز : «سوف أبدو أنيقاً في قميص أحمر • ماذا تقول ياويلي ؟ دعنا نذهب » •

واتجها الى مخزن ذي لوحة كتب عليهاحديثاً « انصاحب هذا المخزن لديه كل ما يلزم للوصول الى حقول الذهب » وهكذا اشتريا منه خرائط وكتيب « الدليل الى كاليفورنيا » •

وفي مساء ذلك اليوم انكبا يقرآن ذلك الكتاب على ضوء فانوس حتى توصلا الى القرار بأن أفضل طريق يسلكانه الى كاليفورنيا هو الابحار من تشارلستون الى باناما ومنها برا حتى الباسيفيك ثم الابحار على طول الساحل الباسيفيكي الى كاليفورنيا •

وفي أمسية ذلك اليوم قام صاحب المخزن يحسب مادخل عليه

من مال ، وابتسم ابتسامة عريضة : ان فكـــرة تلك الكتلة والملاحظة عليها قد روّجت البيع بشكل كبير • لقد خطرت له هذه الفكرة الرائعة لاول مرة عندما أحضر لمخزنه آلـــة التنقيب عن الذهب •لقد كان عنده في المخزن منذ زمن بعيد بعض الكتل من القرميد ، انتقى احداها وطلاها تحت جنـــح الظلام باللون الذهبي ، ووضع عليها ملاحظة تقول ان هذه الكتلة من المعدن الخام في كاليفورنيا •

وهكذا تم له أن يبيع عدداً كبيراً من القمصان والاحذية والقدور والمعاول قبل أن يقتحم لص المخزن في احدى الليالي ويكتشف الخدعة • الا ان هذا حدث بعد فوات الاوان وبعد أن كان الشابان قد أصبحا على مسافة بعيدة في عرض البحر في طريقهم الى باناما ومنها الى بلد الالدورادو •

أما في مدينة نيويورك فقد سار رجل متوسط العمر في شارع فولتون وقد أمسك بيده كتيب الدليل الى كاليفورنيا • كان قد فشل في عمله وأخذ يفتش عن طريقة للحصول على المال بسرعة ليعود ويبدأ من جديد • كان يفكر في كاليفورنيا غير أنها بعيدة جداً والذهاب اليهـــا يستغرق عدة أشهـــر بالعربات أو بالسفن •وبينما كان يسير وقع نظره فجأة على لوحة لمكتب كتب عليهـــا « سوف ننقلك الى كاليفورنيـــا جواً » فدهش الرجل لهذا وقرأ اللوحة ثانية ثم دخل المكتب وقال : « ابامكانكم ارسالي الى حقول الذهب بطريق الجو ؟ ماذا تعني تلك اللوحة ؟ » •

ورفع الموظف نظره الى الرجل وقال : « نعم ياسيد ، يمكننا ذلك • لقد صمم السيد روفوس بورتر طائرة لنقل الركاب الى كاليفورنيا » • فسأله الرجل مستغربا : « تعني أنني سأطير في الهواء ؟ كيف ذلك ؟ » فأجاب الموظف : « بواسطة بالون كبير يملأ بالهيدروجين ويدفع بقوة محركين بخاريين وستة مراجل خفيفة الوزن • هل ترغب في تسجيل اسمك في اللائحة ؟ » •

فذهب الرجل الى منزله ، وبعد مناقشة الموضوع مع زوجته عدل عن فكرة الرحيل وقرر أن يفتش عن عمل آخر في نيويورك • لقد كانت حاجته الى المال هي المشكلة التي تعترضه دوماً في كل مشاريعه ، ومن ثم فمن كان ليصدق آنذاك أنه بامكان أي شخص السفر جوا الى كاليفورنيا ؟

غير أنه فيما بعد سمع الكثير عن المغامرين الذين قاموا برحلات على متن الطائرة •

أما في نيوانكلاند « انكلترا الجديدة » فقد كانت هناك خطط عملية أكثر • اذ كان الناس في كل بلدة وقرية فيها مأخوذين بالحديث عن الذهب في كاليفورنيا • فكانت احاديثهم في اجتماعاتهم تسير كما يلي : هل سمعتم بالملازم بيل الذي عاد من كاليفورنيا بكتلة من الذهب ؟ لقد وقف على المصطبة حيث يتبادل الناس البضائع في شارع وول وأخذ يلوح بالكتلة الذهبية في وجه الشعب هناك • ومن ثم عرضت في مخزن

بارنام وتوم ثامت في انكلترا حيث يتفرج عليها الناس •

كان أهالي نيوانكلاند« انكلترا الجديدة »عمليين جداً • إذ كان لديهم مال ولكنهم لا يستطيعون الذهاب الى بلد الذهب ، كانوا يمولون الذين يطيقون ذلك ولا يملكون المال • وعلى هذا أنشئت الشركات حيث كان المنقبون عن الذهب يقتسمون حصيلة جهدهم مع من أمدوهم بالمال •

كان أفضل طريق لأولئك الملاحين من نيوانكلاند هو الابحار عن طريق كيب هورن (رأس هورن) في الطريق الجنوبي من جنوب أميركا ومنه يسايرون الساحل الغربي من جنوب أميركا حتى سان فرانسيسكو • إن رحلة كهذه تستغرق شهوراً الا انهم بسلوكها كانوا يتجنبون الصعوبات والاعاصير التي تحف بطريق باناما من جهة والصحارى التي تعيق تقدمهم في المناطق الغربية من جهة أخرى •

فلم يترك أولئك الملاحون المتحمسون زورقا شراعيا يمكنهم استعماله الا وأعدوه للابحار بعد اصلاحه وتجهيزه بالمقاعد للمسافرين •

وهكذا كان المسافرون يحتشدون على ظهر المركب محملين بالقمصان الحمر والاحذية المرتفعة الساق والقبعات العريضة والمعاول والرفوش والقدور وأوعية الغسيل وكلهم شوق وحماس لهذه الرحلة • كما كان بعضهم يحملون على أكتافهم آلات غريبة الشكل للتنقيب عن الذهب ، واصطحب

الكثير منهم كتيب الدليل الى كاليفورنيا . غير أنهم كانوا جميعاً يتسلحون بالبنادق أو بالمسدسات أو بالاثنين معاً ويحلمون بالثروة والغنى .

وكان جميع المسافرين ، ان عن طريق رأس هورن أو عن غابات باناما أو عن طريق السهول المتموجة يغنون أغنية كان قد ألفها ستيفن فوستر من عهد ليس ببعيد وأضافوا اليها كلماتهم الخاصة .

لقد استمرت حمى الذهب في الانتشار بشكل واسع . اذ رست سفينة في ميناء فالباريزو على الساحل الغربي من جنوب أميركا وانتشر بحارتها على طول الشاطىء يجيبون على أسئلة الاهالي الذين تجمعوا حول البحارة يلوحون لهم بأيديهم ويسألونهم بكل حماسة : « من أين أتيتم أيها السادة ؟ من كاليفورنيا ؟ أو تقولون أن الذهب يوجد في الارض في كاليفورنيا ؟ كيف يمكننا الوصول اليها ؟ » .

وفي أوستراليا ، في الجانب الآخر من المحيط الباسيفيكي ، لم تكد تدخل سفينة ركاب الى خليج سيدني حتى تجمع الاهالي حول احدى بحارتها وفي يده كتلة ذهبية في حجم الجوزة واخذوا يسألونه : « ما هذا ؟ ذهب ! ألا تتكلم ؟ اذن فمن كاليفورنيا » .

وانحنى ذلك البحار الى الامام وبصق على الارض وقال : « انظروا يا أصدقائي ، هذا ذهب ، ذهب حقيقي من

كاليفورنيا » • فأخذ المتجمعون حوله يحدقون النظر في الكتلة الذهبية وهي على راحة يد ذلك البحار • كانوا جميعهم مجرمين منفيين من انكلترا الى أوستراليا •

وفي الصين رست سفينتان في ميناء شانغهاي • احداهما كانت لصيد الحيتان والاخرى كانت قد رست في ميناء سان فرانسيسكو •

وعلى الشاطيء تلاقى بحارة السفينتين ، وسأل صيادو الحوت عن الاخبار اذ كانوا قد قضوا حوالي سنتين في عرض البحر • فأخذ رجل من السفينة الاخرى يتكلم ؛ انه لم يتكلم عن نيوانكلاند بل قال : « لقد توقفنا في كاليفورنيا ، اذ يوجد هنالك الملايين من قطع الذهب ملقاة على الارض لكل من يريد ان يلتقطها • سوف أعود لأجمع هذه الملايين » •

واقترب صيني فضولي وأصغى الى الحديث باهتمام • فأبرقت عيناه وأخذت لحيته السوداء تعلو وتنخفض وهو ينحني للحديث باستمرار • وتراءت له الثروة العظيمة التي يمكن الحصول عليها من كاليفورنيا واحضارها الى الصين • انه الذهب ! بل الغنى !

وانتشر الخبر في أوربا نقلا من أحاديث الرواة أو قراءة من النشرات المطبوعة من لندن الى باريس الى فيينا الى روما الى تركيا • لم يكن أحد قد سمع بهذا المكان الغريب المسمى كاليفورنيا ، كما أنه لم يكن يوجد له في أوروبا

كلهـا خريطـة يمكن العثـور عليهـا • وعلى الرغـم من كل هذا فقد شرع الرجـال في مغادرة بلادهم اليها • الجميع كانوا يريدون الـذهب المانا كانوا أو هولانديين ، فرنسيين أو اسبانا ! كان بعضهم يحب المغامرة ، وبعضهم أحب التخلص من مهنة صعبة وآخرون أحبوا مغادرة بلادهم، غير أنهم جميعا أحبوا الذهب •

لقد أخذ الكلام يتضخم : « الذهب بالسطول هنالك في كاليفورنيا ! يمكنك أن تركله بقدمك » !



٥

حول الرأس

نحن الآن في شهر كانون الثاني من عام ١٨٤٩ ، وقد مضت سنة على التقاط جيمس مارشال لبعض القطع الذهبية الصغيرة في أقصى كاليفورنيا •

كان الفجر يخيم على ميناء بوسطن عندما أخذت السفينة « ادوارد ايفرت » تترك مرساها ، وكان ظهرها الصغير يزدحم بمئة وخمسين رجلا من مختلف هيئات المجتمع ، يضجون ويغنون ، وهم في طريقهم الى المغامرة الكبرى • كان فيها المتخرجون من الجامعة والميكانيكيون والبحارة والمزارعون وغيرهم ، لقد أتوا جميعاً في رحلة تعاونية للتنقيب عن الذهب •

وفي فجر اليوم التالي تعرضت هذه السفينة وهي فـي عرض البحر لريح عاتية طغت عليها بشدة ، فلزم معظم المسافرين أسرتهم حتى ان ديلارد فارول ، امين سر الجمعية ، لم يستطع ان يرفع رأسه عن وسادته • وعندما وصلوا أخيرا الى (غولف ستريم) خفت حدة الرياح ، فنهض فارول معتمدا على ساقيه المرتجفتين وسار حتى بلغ ظهر السفينة •

وبعد ان جال بنظره في أرجاء السفينة غلبه الضحك اذ بدا البحارة المسنون مرضى شاحبي الوجوه ، أمـا أولئك الذين لم يتعودوا حياة البحر فقد كانوا على حاله يترنحـون في مشيتهم ضعفاء صفر الوجوه •

وما ان رأى آخر مسافر على ظهر السفينة حتى سيطرت عليه فكرة انشاء فرقة ترفيهية ، فاقترب من الرجال وقال : « اذا كنا نستطيع ان نسير فلِم لا نؤلف فرقة للترفيه والتسلية ؟ فأولئك الذين يمكنهم أن يعزفوا قد يرفهون عنا » • وبعد أن استعرض الآلات الموسيقية المختلفة حوله أضاف : « كما أنه يمكن أن يتعاون بعضنا في اصدار صحيفة اسبوعية تنقل أخبار رحلتنا هذه » •

وما كاد يتم كلامه حتى تناول أحدهم ماندولينه ، ورفع رجل ذو لحية كمانه الى كتفه ، وبدأ آخر يعزف على الارغن واشترك الجميع في الغناء من صميم قلوبهم •

وفي الاجتماع الاول لدراسة امر الصحيفة انتخب فارويل

محررا لها ، فكان عليه ان يجمع الاخبار ويكتبها بيده • وبذلك كانوا يحصلون في نهاية الاسبوع على نشرة واحدة مكتوبة ، ينتظرون بلهفة قراءتها بعد ظهر يوم الاحد كأفضل حدث في الاسبوع • لقد سجلت هذه الصحيفة أحداث الرحلة ونقلت أخبارها يوما بعد يوم • ففي احدى النشرات قصت حكاية جماعة من الدلفين قامت بمطاردة السفينة ، وفي نشرة أخرى روت حادثة انقاذ الفتى جوني الذي سقط في البحر بينما كان يحاول سحب سطل من الماء ليغسل قميصه •

وعندما اقتربت السفينة من جزيرة ماديلا تلاشت الرياح حتى انها لم تعد تجفف اصبعا مبللة ! واندفعت السفينة في بحر (ساراغاس) وقد استرخى شراعها على الصاري • في حين كان فارويل يراقب مساحات عظيمة من جاموس البحر تغطي سطح الماء وتندفع ببطء • كان بقية المسافرين يتكلمون بلا انقطاع عن مناجم الذهب • كانوا يتساءلون فيما بينهم عن كاليفورنيا وكيف تبدو وهل هي باردة المناخ أو حارته • وعندما أتوا على ذكر الذهب ومقدار ما يمكنهم استخراجه في اليوم قاطعهم فتى وقال : « سوف أملأ كيسي من الذهب وأعود الى مبيني لأتزوج جيني » • وقال آخر : « سوف املأ جعبتي خلال سنة ، أو خلال ستة أشهر » •

وفجأة عصفت الرياح وأخذ المسافرون يترنحون ككلاب البحر والسفينة تشق طريقها الى الجنوب باتجاه خط الاستواء على طول (غالف ستريم) • ثم عادت الرياح فسكنت واسترخى

شراع الايفرت على صاريها وهدأت حركتها . وفجأة لاحت في الافق سفينة اخرى وقد خمدت حركتها أيضاً ، فتأثر المسافرون لرؤيتها تأثرا بالغاً ، لم يلبثوا ان أنزلوا زورقا الى الماء حمل بعضهم لزيارتها .

وتبين لهم أنها سفينة أخرى تقصد كاليفورنيا . انها الاورورا ، سفينة قديمة جدا لصيد الحيتان أكلتها الديدان مما حمل ركاب سفينة ايفرت على الاعتزاز بسفينتهم الصغيرة المتينة وبقبطانها الماهر . كانوا يهزون رأسهم عندما يتكلمون عنها ويقولون : « تلك الاورورا لا يمكنها مطلقا أن تشق طريقها الى حقول الذهب، كما انها حقا لا تستطيع الالتفاف حول الرأس هورن » .

والى الجنوب من خط الاستواء نشطت الرياح ثانية فانسابت الافرت تاركة الزبد وراءها على سطح الماء .

وفي الثالث عشر من آذار هبت الريح فجأة فتعرضت السفينة لعاصفة عاتية حطمت زجاجها بسرعة . ولكن قبطانها كان ثابت الجأش فقاد السفينة في مجراها وهي تشق عباب اليم والامواج العالية تتكسر على جانبيها ، لقد اوشكت على الالتفاف المرعب حول رأس هورن . وفجأة تمزق شراعها الامامي محدثا صوتا كقذيفة مدفع وتطاير أشلاء .

وما كادوا ينتهون من اصلاحه حتى علا صياح الطباخ : « النار ، لقد اشتعل المطبخ » .

فاندفع فارويل ممسكا بيده سطلا ملأه من مياه موجة كانت قد طفت على سطح السفينة • وحذا حذوه عدة رجال عملوا بأسرع ما يمكنهم على اطفاء النيران التي انسحبت تاركة آثار دخان مالبثت ان تلاشت • غير ان الطباخ كان لا يزال يصرخ بقوة : « لقد أفسدتم الحساء ! سوف تكون وجبتكم اليوم بالماء المالح » •

غير أنه لم يكن هناك وقت للضحك حيث ان السفينة كانت في غمار يم صاخب كما كان البحارة يعملون بسرعة ويحزمون الاشرعة مستعدين للالتفاف حول رأس هورن • وما أن أتموا عملهم وأصبحوا بانتظار اشارة وكيل القبطان حتى رأوا موجة مزمجرة تتدحرج من المحيط الباسيفيكي في اتجاههم كجدار جبار • فأمسك فارويل أقرب صار وشد نفسه اليه انقاذا لحياته في الوقت الذي كانت السفينة ترتفع فوق صفحة الماء ملاقية عدوها • فأخذت ترتفع وترتفع ثم هوت دفعة واحدة في هوة عميقة ، وارتج فارويل بقوة حتى تصدعت يداه • وقبل أن يغمر الماء السفينة لمح فارويل اليابسة • فالى الجنوب كانت تمتد منطقة (الفوغو) وهي أول أرض وقع عليها نظره إثر مغادرته بوسطن •

في صبيحة اليوم التالي كانت السفينة قد انحرفت مئة ميل الى الشرق عن مجرى سيرها • إلا أنها ثابرت طوال أسابيع أخرى على مقاومة العواصف الهوجاء ، كما أن القبطان هنري سمث وبحارته قلما كانوا يرتاحون أو يأكلون طوال

تلك المدة ، حيث أنه كانت أصوات تحطم الاشياء وقرقعة المعدات وزئير الرياح الغضوب تتداخل مع بعضها ليحدث ضجيجاً عظيماً كان يخيل معه لفارويل انه قد فقد سمعه •

ثم هدأت الرياح وانحسرت المياه وتطامنت الموجات • وفي أحد الايام وبينما كان فارويل يعمل على ظهر السفينة ، إذ به يرى (اكباتروس) يحلق حول مؤخرة السفينة ثم يحرك جناحيه القويتين ويدور ببطء مبتعدا في السماء • كما اقتربت من السفينة حمامة (كيب بجن) وحطت على ظهرها لبضع دقائق ، فابتسم فارويل مرحبا بها • وأخذ يقترب منها ليتبين ذلك الطائر الصغير المعروف لدى جميع البحارة الذين يبحرون حول الرأس • لقد علم فارويل أن هذه بشائر حسنة وأن أسوأ جزء من الرحلة قد انتهى الآن •

وفي نيسان رست هذه السفينة في ميناء فالباريزو الى جانب مجموعة من السفن الاخرى التي كانت في طريقها الى مناجم الذهب • وهنا غادر ركاب الايفرت سفينتهم وراحوا يفتشون فيما بين السفن على سفينة تحمل أثر الوطن وأخباره حتى اهتدوا أخيرا الى (الموتتريل) التي كانت قد أبحرت من ميناء بوسطن •

وفي الخامس من حزيران اجتازوا خط الاستواء ، فاشترك الجميع في التخطيط للاحتفال بعيد الرابع من تموز • اذ يوافق هذا اليوم نهاية الرحلة حين يدخلون البوابة الذهبية

في سان فرانسيسكو بعد ان تكون صحيفتهم قد امتلأت بأنباء خطة الاحتفال بتلك المناسبة .

وعندما اتى هذا اليوم كانت السفينة تبحر في جو من الرياح الهادئة على طول ساحل كاليفورنيا . فألقى السيد لويس لول خطبة حماسية تلهب المشاعر بطابع يناسب الرابع من تموز عدد فيها أمجاد الولايات المتحدة الاميركية وانتصاراتها ، ولم ينس في خطبته ان يأتي على ذكر مقاطعة كاليفورنيا الذهبية . ثم تلا جوزيف بنتون قصيدة من تأليفه كتبها للمناسبة نفسها .

وبعد يومين أبحرت السفينة ايفرت في مرفأ سان فرانسيسكو مخترقة السفن الاخرى التي ازدحم بها الخليج ، واستطاعت بصعوبة وبفضل مهارة القبطان أن تجد مكانا لها في كلارك بونت حيث كانت السفن ترتطم وتقرض بعضها .

وازدحم الركاب على جانب السفينة حتى هيىء لفارويل أنها سوف تجنح بهم . غير ان السفينة التي استطاعت ان تجابه عواصف رأس هورن استطاعت الآن أن تصمد لحماس صائدي الذهب وهم يتأملون سان فرانسيسكو .

وهكذا لاحت سان فرانسيكسو تستقبل الشمس بأبنيتها الطينية وخيمها المبعثرة هنا وهناك بين البيوت . بدت لأعين صائدي الذهب المشدوهة كبلد في نهاية قوس قزح فيها لكل فرد قدر من الذهب .



٦

سان فرانسيسكو

كانت سان فرانسيسكو قرية صغيرة هادئة ، غير أنها أضحت خلال شهور قليلة من التسابق على الذهب حديث العالم كله .

اذ انصب عليها أناس من كل لون وعرق ، منهم من نصب الخيام والاكواخ ومنهم من نام على الارض تحت أغطية ثنيت فوقهم على أوتاد خشبية كما كان منهم عمال المناجم الذين حصلوا على الذهب وعادوا الى سان فرانسيسكو ليصرفوه . هذا الازدحام الشديد لم يكن هناك قانون ينظمه ، فكان

الجميع يغادرون سفنهم متلهفين الى الوصول الى حقول الذهب ليؤمنوا حصتهم منه • وهكذا ساد المكان جو من المقامرة المثيرة •

وعندما رست الايفرت قفز موظف فتي ــ وقد غدا الآن من صائدي الذهب ــ الى الشاطىء حاملا حقيبته على كتفيه ضاما اليه الكثير من المعدات مما جعل حركته بطيئة ، وكان يصحبه الضابط الاول في السفينة ، وقد استحوذت على افكاره مشروعات عديدة •

مشى الاثنان ببطء داخل المدينة الصغيرة التي كانت تختلف عن بلدهما نيو انكلاند اختلافا شديداً ، وكانا يلتفتان من آن لآخر الى المرفأ ليريا السفن قد ملأته مستسلمة لرحمة الرياح والامواج ، كما شاهدا العديد من الحبال البالية وقد تركت لتتعفن على الوحل •

كان بعض السفن قد سحب الى الشاطيء وحول الى غرف جلوس ، كما ان المدينة اشترت السفينة بوفيميا وحولتها الى أول سجن يقام في كاليفورنيا ، كما استعملت السفينة أوبولو مكانا للايجار ، أما السفينة نباتتيك فقد جردت من أشرعتها وحبالها وجُرت الى المنعطف بين شارعي سانسوم وكلي وحولت الى مستودع •

وشاهدا سفنا أخرى تصل الى المرفأ ، فأشار أحدهما الى سفينة وسخة قديمة رست حديثاً وقال : « انظر الى تلك ، انها

الاورورا التي قلنا إنها سوف لا تتمكن من الالتفاف حول رأس هورن » •

كانت الاورورا تزدحم بالمنقبين عن الذهب المتلهفين للوصول الى الشاطيء ومنه الى الحفريات •

ثم تابع المسافران تجوالهما في هذه المدينة التي أصبحت على صغرها تضم بين خيمها ومبانيها أناساً من جميع بقاع الارض •

فكانا يضحكان آنا لرؤية عدد من الهنود يسيرون في الشارع بقمصانهم البيضاء من غير بنطال ، وآنا كانا يتوقفان ليراقبا مجموعة من رجال الحفريات وقد طالت لحاهم يتجمعون حول « لاعب الكشتبان » وليراقبا حيل هذا الغشاش لسلب الناس ذهبهم • كان ذلك الرجل يضع عددا من الفناجين الصغيرة على غطاء برميل ، ثم يضع تحت احدى هذه الفناجين حبة حمص • ويقوم بتحريك الفناجين بسرعة كبيرة باتجاهات مختلفة ، ثم يتوقف ويجمع المراهنات من المحتشدين حوله الذين عليهم أن يعرفوا تحت أي فنجان توجد حبة الحمص • فكان الذهب يتدفق الى جيبه بنفس السرعة التي كان يحرك فيها الفناجين •

ثم مضى الاثنان يتحدثان وقال الموظف لرفيقه : « يقال ان خمسة عشر ألفا وفدوا الى هذه المدينة في غضون الستة أشهر الاولى من هذه السنة » • فأجاب صديقه البحار : « أجل ، وقد

أخبرني القبطان ان الناس هجروا المدينة الى التلال المجاورة بعد اكتشاف الذهب حتى غدت وكأنها مدينة بلا حياة » •
لقد ألقى الحداد بمطرقته جانبا ، وأغلق المحرر صحيفته والواعظ كنيسته ولم يبق في البلد الا عدد قليل من النساء والاطفال والرجال الذين أضحوا لشيخوختهم عاجزين عن الذهاب • فقال الاول : « يبدو الامر مختلفا الآن ، مما يدل على أن المقامرين وأصحاب هذه المخازن يحصلون بسهولة كبيرة وهم في المدينة على نفس الكمية من الذهب التي يحصلون عليها فيما لو اشتركوا بأنفسهم في أعمال الحفر والتنقيب » •

وهنا توقفا ليشتريا نسخة من « ألتا كاليفورنيا » وهي صحيفة جديدة ابتدأت عملها منذ عودة المحرر من حقول الذهب • وقال البحار ببطء وهو يتابع سيره بجانب رفيقه : « لامانع عندي من أن أعمل محررا ، فقد كنت أتلهف دائما على مثل هذا العمل • ولكن انظر الى تلك الاسعار ! » •
وكانت لائحة للاسعار التي علقت فوق مخزن قد لفتت انظارهما وكان هذا المخزن قبلا بيتا من القرميد وسع من الجوانب فبدا كسقف خشبي يستند الى أعمدة ضعيفة المقاومة • وتوقف الصديقان يقرآن الاسعار : « ثمن برميل الدقيق اربعون دولارا وثمن المعول او المجرفة عشرة دولارات أما القدر من التنك لغسل الذهب وسكينة اللحام فسعر الواحدة منها ثلاثون دولارا » •

واستدارا ليعبرا الشارع إلا أنهما توقفا مذعورين لرؤية طبقة كثيفة من الوحل تكسو الشارع سببتها أمطار هطلت • كما رأيا راكباً يصرخ على بغاله ويلطمها بكعبه ليحثهــا على شق طريقها عبر طبقة الوحل هذه التي أضحت محززة بفعل دواليب العربات تملأها الحفر والحدبات • وفي بقعة أخرى منها كان قد سقط جواد في حين اربعة رجال يحاولون بجهد انتشاله • وفي مكان آخر منهــا كانت العلب والبراميــل والألواح الخشبية قد تجمعت فوق أغصان أشجار سبق أن سقطت في الوحل وحفرت الاتلام فيه •

وقف البحار وصديقه يفكران فيما اذا كانا يستطيعان العبور • وهنا شاهدا ماردا يقفز قفزة رائعة الى بيانو كان قد استقر عبر الوحل • صارخا بأعلى صوته ، غير أنه لم يكن ماهرا مهارة الماعز لينجح في محاولته ، فاستقرت احدى قدميه على البيانو في حين غاصت الاخرى في الوحل ، فانزاح البيانو من تحت قدم الرجل وغاص في الوحل وهنا اندفع ثلاثة رجــال ليسحبوا المارد من الوحل •

لقد كان البحار وصديقه يسمعان في طريقهما خليطا من اللغات : الاسبانية والبرتغالية والانكليزية والالمانية والفرنسية والسويدية • كما شاهدا رجالا من جنسيات مختلفة : فعلى طول الرصيف الخشبي كان يمشي مختالا شاب مكسيكي ، بينمــا كان صيني يسير مسرعا ويداه في أكمامــه وخصلة

شعره تتدلى على كتفيه •

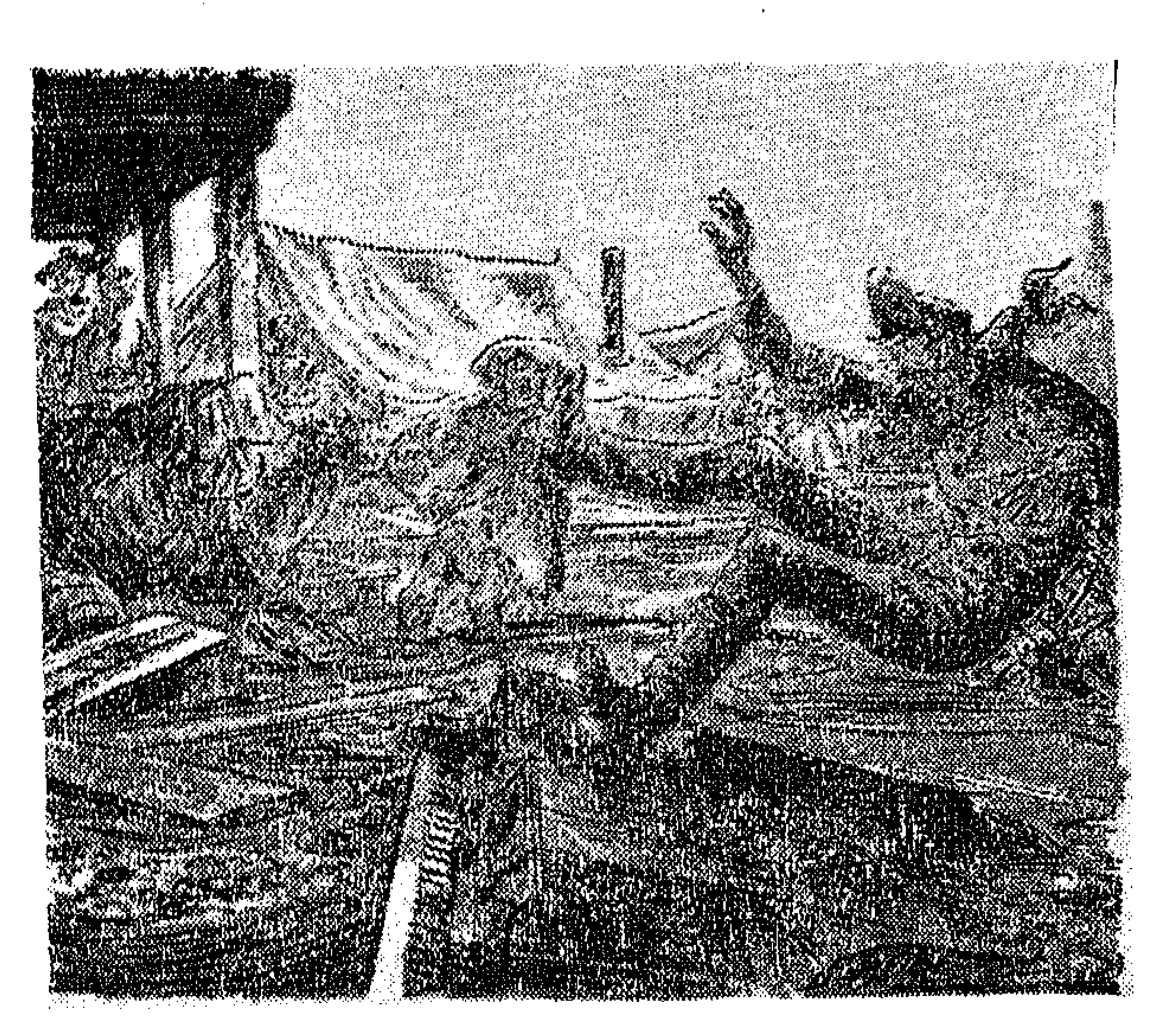
واخيرا وصل الصديقان الى البلازا بين بناء الجمارك القرميدي وفندق باركر هاوس •

أما في المساء ، فقد بدا لهما أن أفضل مكان يتناولان فيه الطعام هو خيمة كبيرة كان المنقبون يقفون بجوارهاوينتظرون ليحين موعد الأكل • وفجأة دق صيني الجرس من داخل الخيمة واندفع صائدو الذهب الى الموائد حتى كادوا يدوسون الزائرين الجدد تحت أقدامهم • كان الطعام جيدا ، غير ان الاسعار فاحشة الغلاء • فحساء لحم الثوركلف دولارا واحدا والبيضة بدولار أما البندورة فخمسين سنتا والقراصيا بخمسة وسبعين سنتا •

ولما ترك الرجلان مكان الطعام مرا في طريقهما على رجل وقف عند احدى المنعطفات وحوله حشد من الناس •فوقف الصديقان يتأملان ذلك الرجل الذي بدا انه يبيع الجرائد • وهنا سمع فتى آخر يقول : « هذا رجل أتى من نيويورك عن طريق باناما على نفس السفينة التي أتيت عليها • لقد سمع ان مواد القراءة نادرة جدا هنا حتى أن أي شيء يقرأ يلاقي رواجا فاحضر معه ألفا وخمسمائة من صحيفة تريبيون من نيويورك • لاحظوا كيف يبيع النسخة بدولار ومع ذلك لايستطيع على سرعته أن يلبي طلب الجمهور » • وما ان أكمل هذا الفتى حديثه حتى أبرقت عيناه واندفع مسرعا الى اوتيل

باركر هاوس • وعاد بعد بضع دقائق يتأبط عـــددا قليلا من الجرائد وقال للبحار وصديقه : « لقد وجدت اثنتي عشرة صحيفة كنت قد استعملتها لملء حقائبي » ، ثم اتجه الى بائع جرائد كان يقف بجوارهم وقال : « هل تريد أن تبيعهم لي ياسيد ، سوف أعطيك عشرة دولارات عليها كلها » ، فوافق البائع وهز كتفيه يقول : « حسنا ، ان هذا ربح يعادل اربعة آلاف بالمئة » ، ثم ضحك وانصرف •

وسأل أحد القادمين الجدد رجلا ذا لحية كان بجانبه : « من هذا ؟ » فأجاب الرجل : « انه بايارد تيلور ، الكاتب المشهور في صحيفة نيويورك تريبيون » •



ثم أخذ الشابان من نيو انكلاند يتبـاحثان ويرسمان

الخطط في تجوالهما ورأيا أخيرا أن من المحال البقاء في تلك المنطقة المرتفعة الاسعار •

أمضى الشابان وقتاً طويلا يفتشان عن مكان يأويان اليه ، فلم يجدا سوى بيوت القمار • اذ كانت الخيم والمنـــازل الخشبية تضج بصياح المنقبين وأصوات عيارات أسلحتهم وقد احتشدوا ليلعبوا الروليت والمنت والبوكر على الضوء الخافت لمصابيح تضيء بزيت الحوت •

وأخيرا وصل الصديقان الى بيت يحوي غرفا للاجار • كان فيما مضى كوخا قديما ضم الى بعضه بسرعة قرب نهاية البلدة •

وهنا افترشا أرضاً تغمرهما بعض الاغطية حتى الفجر حيث انصرفا فرحين بنور الصباح • اذ أن في مثل هذا الوقت كان جميع الرجال في سان فرنسيسكو ينهضون من نومهم محاولين إراحة عضلاتهم الملتصقة نتيجة نومهم على الارض أو على الموائد • فمنهم من قضى ليلة في خيمة ، ومنهم من نام تحت غطاء يرتفع على أربعة أوتاد ، في حين ان بعضهم كان ينام في الممرات الجانبية والخشبية •

وأسرع الصديقان الى مخزن واشتريا زادهما من لحم الخنزير والدقيق والفاصولياء والقهوة • ثم قررا أن يركبا أول قارب عبر نهر « ساكرامانتو » الى الحفريات •

وعندما وصلا الى المرسى كان عليهما ان يشقا طريقهما

عبر حشد صاخب • كما كان القارب الوحيد الجاهز للرحلة يزدحم ازدحاما شديدا بالركاب حتى بدا كأنه معرض للغرق في كل لحظة • ثم دقق الصديقان النظر ليجدا طريقا يعبرانها الى ذلك القارب فلم يتمكنا على الرغم من أنهما كانا قد حصلا على بطاقتين للرحلة •

وفجأة حدث قتال على ظهر القارب • اذ تصارع رجلان في حين كان الآخرون يصرخون ويصخبون • ولم تمض لحظات حتى سقط رجل من القارب في البحر ثم تبعه آخر فاشتد سرور الحشد على الشاطيء وأسرع بعضهم لمساعدة من سقط في البحر وأصبح على وشك الغرق •

وهنا همس أحد الصديقين للاخر : « أسرع الى ظهر القارب » • وهكذا شقا طريقهما الى نهاية المرسى وقفزا الى الامكنة الشاغرة التي أخلاها من سقط في البحر •

ثم صاح بحار من على القارب : « الجميع على ظهر المركب » • وألقى بالحبال بعيدا فانتصبت الاشرعة وتحرك القارب الصغير ببطء عبر النهر • وبعد برهة جلس الصديقان على حزمة من الحقائب وتتبعا باهتمام حديثاً عن الحفريات كان يدور بين البحارة : قال أحدهم : « اني سأذهب الى هانغ تاون ، يقال ان الذهب جيد الكمية هناك » • فسأله آخر عن الطريق التي سلكها للوصول الى هذا المكان، وهل هي طريق رأس هورن؟ فأجاب « طبعاً، ان اصدقائي في جورجيا كتبوا لي يخبرونني بأنهم قادمون عن طريق باناما • هناك الكثير

من الرجال في طريقهم الى كاليفورنيا » • وعلق آخر يقول :
« هذا الطريق سيء جداً ؟ » فأجاب البحار : « بالتأكيد •
أعتقد بأن طريق باناما هو الافضل والاسرع اذا لم يكن
هناك أنواء •هل سمعت بالثروة على ضفاف نهر موكيلامن ؟
يمكن ان أعود الى تلك المنطقة اذا لم اوفق في حفرياتي هنا• »

ثم انصرف الصديقان ليناما على ظهر المركب ، الا انهما
أمضيا الليل يدفعان عنهما بعوضا شديد اللسع ، ويسمعان
عواء الثعالب في الغابات واصوات الطيور المعزولة على
الشاطىء • وكان يحيط بهذين الصديقين منقبون ناموا
وفي رأسهم فكرة واحدة : هي الحصول على الثروة في اسرع
وقت ، وبذلك يكونون الرجال المحظوظين •



عبر الغابة

في هذا الوقت كانت قصيدة ستيفن فوستر قد شاعت في جميع أرجاء الولايات المتحدة الاميركية • وقد اصبحت تنشد في المدن وفي القرى النائية عندما يشرع الرجال والفتيان بالرحيل الى حقول الذهب •

وفي احدى المدن الصغيرة من ولايات نيويورك انضم شاب يدعى (يوليوس برات) الى فرقة منظمة تضم دكتورا ومحاميا ومعلمين وحدادين ومزارعين واربابا مهرة لمختلف المهن • وعندما كان اعضاء هذه الفرقة في طريقهم الى الكنيسة

ليحضروا آخر قداس ، خرج جميع أهالي تلك البلدة يلوحون لهم بأيديهم ويودعونهم • ولما ركبوا القطار الى مدينة نيويورك اخذ المحتشدون ينشدون « سوزانا » •

لقد كاد قاربهم الصغير (مي فلاوير) « زهرة أيار » يضيع وسط حركة الملاحة الواسعة في مرفأ نيويورك بين السفن التي ازدحمت هناك بمختلف انواعها تقل المسافرين الى كاليفورنيا •

أسرع اعضاء الفرقة الى ظهر هذا القارب يهيئون أنفسهم للابحار في اليوم التالي الى برزخ باناما • لقد حمل يوليوس برات معه كمية كبيرة من الاوراق النقدية ذات العشر سنتات لكي يدفع تكاليف عبور البرزخ • إذ أنه كان قد سمع بأن كل ثمانية قطع من تلك الاوراق تعادل دولاراً واحدا في باناما • كما انه أحضر معه خيمة وتزود بكل المؤن اللازمة لحياة مخيم بسيطة • في حين انه كان قد ارسل مؤناً أكثر على ظهر سفينة أخرى ذاهبة عن طريق رأس هورن •

وفي اليوم التالي أبحر القارب مع المد وعلا صوت البحارة وهم يغنون كما لو كانوا ذاهبين الى نزهة • وهنا نظر القبطان الى الضابط الاول وضحك قائلا : « انتظر حتى نجتاز ساندي هوك • ثم لن نرى لهم أثراً بعدها » •

ولم يلبث ان عصف بالقارب نوء مفاجيء ، فاصفرت

وجوههم وبدت عليهم علائم المرض بما فيهم يوليوس الذي لم يكن أقل ذعراً من الذين كانوا يجلسون قرب، الحقائب التي كومت كيفما اتفق في وسط القارب ، والتي كانت تنزلق الى الامام والى الخلف مع كل ارتفاع أو انخفاض للقارب ، الشيء الذي جعل محاولة عبور الكابين خطرة جداً • وبعد عدة أيام هدأ النوء ونهض يوليوس من سريره وصعد الى ظهر القارب •

استغرقت رحلتهم حوالي ثلاثة أسابيع حتى وصلوا الى « تشاغرس » ، على الخليج في الجانب المكسيكي من باناما • وهنا جدد المسافرون قواهم واستعادوا نشاطهم •

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة من ذلك المساء نصب أعضاء الفرقة خيامهم على اليابسة قرب أكواخ من ورق النخل • وفي الصباح ، وفيما كان الرجال يتناولون الافطار ، اجتمع الهنود في مكان منعزل وأخذوا يتمتمون فيما بينهم بصوت خافت • ثم اقترب هندي من اعضاء الفرقة وصرح لهم بانهم سوف لا يتابعون رحلتهم لانهم لا يحصلون على المال الكافي •

فالتقط يوليوس بندقيته وصوبها نحو الهنود وتبعه بقية أعضاء الفرقة بمسدساتهم • وقال برات : « ان اتفاقنا ان تنقلونا حتى غورغونا ، فادخلوا القوارب » •

إنصاع الهنود للامر باكتئاب وصعدوا الى القوارب ، غير أنهم لم يغنوا أبدا بعد ماحدث • وعندما وصل أعضاءالفرقة الى غورغونا كانوا سعداء لرؤية الهنود يتركونهم على اليابسة ثم يعودون أدراجهم عبر النهر بعد أن عقدوا مؤتمرهم الثاني •

لم تكن غورغونا آنذاك أكثر من مجموعة من الاكواخ فأخذ بعض الاميركان يتذمرون من تلك الحالة وخاصة بعد أن وصلت اليهم الاخبار من باناما حيث المئات يموتون جوعا أو بتأثير حمى الغابة • ولذلك قرر يوليوس وأعضاء فرقته أن يخيموا على ضفاف نهر (تشاغرس) وأن يذهبوا الى باناما عندما يبلغهم نبأ وصول احدى السفن اليها •

بعد ثلاثة أسابيع ابتدأ الفصل الماطر ، وأضحت طرق الدواب تنذر بتحولها الى بحر من الوحل الكثيف • فأسرع الرجال واستأجروا دوابا حملوها بأمتعتهم وأصطحبوا بعض الهنود ليرشدوهم الى الطريق التي قطعوها بصعوبة بالغة الى باناما عبر طبقة من الوحل كانت ترتفع حتى ركبهم ، في حين اصيب عدد كبير منهم بحمى الغابة •

وفي باناما خرج يوليوس ليفتش عن سفينة تنقلهم الى سان فرانسيسكو • فشاهد في الميناء سفينة قديمة تدعى (مامبولدت) كانت قد رست هناك لتتزود بالفحم • فاستطاع بعد جهد أن يقنع صاحب السفينة بأن يجهزها للسفر الى سان

فرانسيسكو . واتفقا على ألا يزيد عدد المسافرين فيها على الاربعمائة رجل .

وهكذا دفع يوليوس وأصحابه اجرة السفينة وصعدوا الى ظهرها ، فاذا بعدد المسافرين يزيدعلى الاربعمائة ، ولم يكن فيها أي طعام ، كما كان الكثيرون من هؤلاء الرجال مصابين بحمى الغابة ، في حين كان الباقون منهم يقضون يومهم يتقاتلون ويتعاركون . فلم يتحمل يوليوس الوضع وجمع أصحابه وحملوا أسلحتهم ومشوا يتحرقون غيظاً الى بيت صاحب المركب وصاحوا به : « اخرج الى الشارع ! نريدأن نكلمك » فانسل المالك الى الشارع ببطء ثم وقف يرتجف . في هذه الاثناء كان بعض المسافرين قد انضموا الى يوليوس وجماعته . وهنا صاح الجميع في صاحب السفينة : « يجب ان تستغني عن العدد الزائد من المسافرين وان تزود السفينة بالطعام ، والا فسنأخذك معنا » . فأجاب صاحب السفينة: «ايها السادة ، أيها السادة ، اني اوافق على ماتقولون . لم أعلم بأن هذه الاشياء السيئة قد حدثت . ان مدير أعمالي سبب هذا كله » .

الا ان المشكلة هي في كيفة التخلص من بقية المسافرين .

عند الفجر رست سفينة أخرى في الميناء فحلت المشكلة . اذ انتقل مئة مسافر اليها . وبعد أن زودت (الهامبولدت) بالطعام أبحرت في اليوم الثاني وابتدأت رحلتها التي لا يمكن أن ينساها يوليوس مادام حيا . لقد كان طعم الماء قاتلا

والطعام كريها لايمكن ازدراده ، كما كان يلقى في كل يوم برجل الى سمك القرش •

وفي الاكابالكو ، في المكسيك ، لم يعد باستطاعةأصحاب يوليوس أن يتحملوا وضع السفينة • فتركوها الى الشاطىء وقرروا أن ينتظروا سفينة اخرى • وبعد أسبوعين وصلت المرفأ سفينة أخرى حديثة الاستعمال تسير على البخار ،كانت هذه السفينة في طريقها الى سان فرانسيسكو • الاان يوليوس حين كلم قبطانها للسفر معه اعتذر عن أخذهم معه لزيادة الركاب وجاءرده سلبياً وأضاف : « ان السفينة تحمل زيادة عما صرح لها بحمله ، كما ان الركاب يقتتلون فيما بينهم طيلة اليوم لقلة حصصهم من الطعام ، وليس من أمكنة أيضاً لنوم أولئك الاشقياء الموجودين حاليا على ظهرها » • الا ان يوليوس اصر قائلا : « لقد انتظرنا هنا أسبوعين • يجب أن نصل الى كاليفورنيا ، وسوف نفعل أي شيء حتى نصل اليها » • فوافق القبطان على ذلك •

وهكذا سارع يوليوس ورفاقه الى السفينة واندسوا بين صفوف المسافرين يتجولون من مكان الى آخر ويصادقون من استطاعوا •

وعندما صعد القبطان الى ظهرها صاح في المسافرين : « هل أنتم راضون عن أخذ هؤلاء الرجال معنا ؟ » فأجابه رجل طويل القامة : « لم لا ، ما الفارق بيننا، اننا بعددنا الكبير هذا سوف لا نشعر بوجود عدد قليل آخر من الرجال بيننا » •

وهكذا أبحرت السفينة من ماكسيكو متتبعة الساحل باتجاه سان فرانسيسكو • وبعد سبعة شهور من مغادرة نيويورك دخلت جماعة يوليوس برات البوابة الذهبية لسان فرانسيسكو ووطئت أقدامهم الارض الموعودة • كانوا قذرين منهوكي القوى يرتدون القمصان الحمر وبناطيل رعاة البقر والقبعات ، كما تزودوا بكل ما يحتاجونه • وهكذا انصرفوا بمعاولهم وقدورهم ومسدساتهم الى الحفريات ، الى مناجم الذهب !



٨

مدينة ذات سترماة

كانت سان فرانسيسكو تتغير بسرعة كبيرة حتى ان من يغيب عنها شهرين لا يستطيع تميزها حين رجوعه اليها ثانية الا بصعوبة . كانت اصوات المطارق في تلك المدينة الغريبة لا تنقطع حيث تقوم البنايات باستمرار . وبالاضافة الى البنايات كان عدد الخيام يزيد يوما بعد يوم حتى امتدت الى سفوح التلال المجاورة والاماكن الواطئة بين الشجيرات الدائمة الخضرة . ويوما بعد يوم كان المرفأ تزداد الاشرعة فيه حتى غدت غابة من الاشرعة والصواري ، لكثرة السفن

الراسية والمغادرة •

كان صيف سان فرانسيسكو حـارا بحيث كان أولئك الذين وصلوا اليها يبتلون عرقا ويهربون الى أماكن الفيء • كما كانت شوارعها وسخة والغبار يتطاير تحت أقدام الجياد والثيران والدواب عاقدا سحبا في الهواء •

وبعد ظهر أحد الايام وقف في البلازا رجل غريب اسمه السيد كرافت • كان هذا الرجل قد أمضى ثلاثة أيام يعتني بالمرضى من الرجال وبمن مات منهم بين يديه متأثرا بالديزنتري أو الروماتيزم أو البنيمونيا أو حمى التيفوئيد • لـم يكن كرافت طبيبا بل كان رجلا طيبا يحاول أن يساعد المرضى الذين لم يكونوا يجدون من يعتني بهـم ، اذ ان الاطباء أو الممرضات كانوا جميعا في حقول الذهب •

وقف السيد كرافت غاضبا من الحالة التي آلت اليها المدينة ومن فيها • واخذ يخاطب من يريد أن يسمعه بصوت جهوري كما لو كان يخاطب قضاة : « أيها السادة أصحاب المعالي ، اننا شديدو المرض والجوع • اننا تعساء لاعون لنا • واذا لم يتدارك أحدكم الامر بطريقة ما فسوف نقضي جميعا ألما وجوعا • ان كل ما نطلب هو فرصة عادلة • وأكرر أيها السادة وأقسم أنه اذا لم تفعلوا شيئاً لأجلنا فسوف نموت ! » •

الا ان أحدا في السوق لم يسمعه ، اذ لفت نظرهم جماعة يقومون باستعراض عبر الشارع • وانحنوا الى الامام ليروا

العرض اكثر وضوحا • فاذا بعدد من الرجال ذوي وجوه متجهمة يتسلحون بالمسدسات وبالبنادق وبالخناجر،ويعقدون شالات حول اكتافهم كما لبس بعضهم حلة صينية • وفيما كانوا يعبرون الشارع بضجيجهم وصراخهم ، صاح أحد الاهالي : « انهم كلاب ! » •

وهنا أخذ المتفرجون ينسحبون ويبتعدون عن المكان عندما عرفوا المشتركين في العرض • لقد كانوا عصابة منظمة من أقسى الرجال في المدينة سموا أنفسهم بالمنظمين ، بينما سماهم الشعب بالكلاب • اذ كانوا يهاجمون المخازن وبيوت القمار والاغراب تحت ستار العدالة •



صرخ أحد الاهالي : « انهم يتوجهون الى حي شيلين » •

فصاحت امرأة حانقة : « لمَ لا يلقى القبض عليهم؟ » • وهنا دفع بها منقب خلف برميل وصاح فيها : « من الخير ان تتواري عن الانظار • اذ بامكان هؤلاء الاشقياء أن يبدأوا أية مشكلة بست رصاصات • ولِمَ لا يلقى القبض عليهم ؟ لانه لا يوجد بعد في هذه المدينة أية قوة للشرطة ، كما لا توجد محاكم أو قضاة • الواقع ان هذه المدينة في قبضة هؤلاء الكلاب » •

وسمع صوت طلقة نارية ، ثم رش من الطلقات دوى في الجزء المتطرف من المدينة لم يلبث بعدها الكلاب ان عادوا محملين بكل مالذ وطاب بعد ان أحرقوا البيوت الصغيرة في حي شيلين • وهكذا عاد الكلاب مزمرين مطبلين رافعين علمهم ليقوموا باستعراض يخترق المدينة من أولها الى آخرها • كما كان كل رجل يعلم ان الكلاب بمجرد انتشار الظلام في المدينة سيهاجمون الصالونات ويقتحمون المخازن ويسلبون وينهبون كل مايستطيعون حمله ويتلفون كل شيء آخر •

وفي الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم بدت سان فرانسيسكو صاخبة على عادتها في مثل هذا الوقت • اذ احتشد في البلازا عدد من الاهالي أمام بناء مدرسة حيث كانت ستقام حفلة موسيقية كان كل منهم يدفع ثلاثة دولارات ثم يعود وينتظر افتتاح الحفلة التي يضم برنامجها بعض المنولوجات والتمثيليات •

وصاح واحد من الجمع : « انظروا توجد امرأة ، لا بل اربع منهن » • فاستدارت الرقاب بسرعة •

وعندما افتتحت الحفلة هـدأ صائدو الذهب هدوءاً عجيبا اذ انتظروا بكل أدب دخول النسوة الاربـع اللواتي أخذن أماكنهن في مقاعد امامية كانت قد حجزت لهن • ولكي لايزعجوا السيدات أخذ الرجال يبصقون تبغهم وراءهم ، كما ذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فكانوا يرفعون قبعاتهم احتراما لهن •

وفجأة صرخ أحد الموجودين : « لقد وصل البيانو » واذ ببعض المنقبين الاقوياء يحملون البيانو الى المدرسة ، وكان من المعروف ان البيانو ينقـل عند كل حفلة الى المدرسة ثم يعاد الى بيت صاحبه السيد هاريسون بعد ذلك •

وبينما كان أحدهم يدهش الجمهور بأغانيه وتقليد زقزقة الطيور ، اذا بصوت يخترق البناء ، والتفت المنقبون وما ان أدركوا ماهية الصوت حتى اندفعوا الى الباب • وما مضت ثوان قليلـة حتى خلا المكان الا من السيدات الاربـع والمهرج •

كما سمع صوت ينادي : « حريق احضروا السطول » •

فاتى الجميع الى الجزء المتطرف من البلدة وكان احد المخازن يحترق • كان خفافيش الظلام قد عادوا ثانية وسلبوا ذلك المخزن بعد أن قتلوا مستأجره وهو نائم فيه ثم أحرقوه • واندفع الرجال يلقون بالماء على اللهب من سطول ملئت من معالف الخيول ومن براميل جمع فيها ماء المطر • كما وقف

مالك المخزن وقد شحب وجهه للصدمة يتأمل ملكه يحترق في دقائق معدودات • غير أن الرجال استطاعوا ان يبللوا المناطق المجاورة بالماء فخمدت النار • ثم عاد المتفرجون ليستعيدوا ثمن بطاقاتهم •

وفي اليوم التالي احتشد جمع من الاهالي الساخطين في وسط المدينة بعد أن كانوا قد أجبروا العمدة على أن يحرك ساكنا ودعوه الى مؤتمر • وكان سام برنان من بين المجتمعين هنالك ، لانه لم يعد يدير مخزنا في سوترسفوت (حصن سوتر) بل أصبح رجلا ذا أهمية في سان فرانسيسكو • لقد وقف وخطب في الاهالي وفضح الكلاب وأساليبهم وطالب باتخاذ خطوات عملية • ثم جمعت التبرعات لافراد الشعب الذين قاسوا على يد هؤلاء اللصوص وخفافيش الظلام • وشكلت قوة شرطة ممن تطوع لها من المجتمعين من مائتين وخمسين رجلا مسلحين وجاهزين للعمل •

بعد ظهر ذلك اليوم قبض على رئيس الكلاب وعشرين من اتباعه وأودعوا السجن على ظهر سفينة اميركية تدعى وورن (انذار) • وفي الاسبوع التالي حكم المقبوض عليهم بالسجن لعشر سنوات مع الاشغال الشاقة الا أن الفوضى كانت تعم البلد لان القضاة والمحلفين كانوا يتركونها واحدا تلو الآخر الى حقول الذهب ، وهكذا لم يعاقب المحكومون بالرغم من أن عددا منهم أبعد عن البلدة بينما هرب بعضهم

الآخر الى حقول الذهب وضاعوا بين الغرباء المتهافتين على كاليفورنيا .

فهناك عند الحفريات يمكنهم أن يتواروا عن الانظار حيث لا يتعرض أحد لآخر الا اذا تجاوز الحدود .

* * *



٩

آه سوزانا

حتى عام ١٨٤٨ لم يكن يعرف تلك القفار الغريبةالشاسعة من الجبال والسهول والصحارى الا قلة من الهنود والصيادين والمكتشفين الذين غامروا في السفر في عربات القطارات الى سواحل الارغون وسواحل كاليفورنيا •

وبعد جهد استمر مائتي وعشرين سنة توصل الكشافون السابقون الى نصب خيمهم فيما وراء المسيسبي • ثم اجتاحت لفظة « ذهب » أرجاء المنطقـة بكاملها ،فلـم يبال الناس

بالمسافات الشاسعة من الصحاري والجبال فأخذوا يتواردون اليهـا بالمئات ثم بالآلاف • كما جرحت دواليب العربـات والكراجات وحوافر الخيول والدواب الطريق الى الغرب •

وهكذا أخذت العربات تتوافد على محطة جوزيف على الميسوري بصخب دواليبها وضجيج ركابها • وتوالي الاندفاع الى كاليفورنيا من الرجال والنساء والاطفال • غير ان الاغلبية العظمى منهم كانت من الرجال الذين أتوا على ظهور الخيل والدواب • فكانت أصواتهم تملأ المنطقة وهـم يتبادلون القصص ويحثون خيلهـم على الصعود والاستمرار فـي طريقهـا •

كان يسود محطة جوزيف تلك ، جو مثير • فكان بعض المسافرين يدفعون أمامهم كراجات مليئة بالمؤونة والزاد ، وآخرون يركلون بأقدامهم مجموعات مؤلفة من ستة أو ثمانية من الثيران يجرون وراءهم عربات ذات شوادر في طرقات غير معبدة تغلفها طبقة من الغبار •

كما كان من المشاهد المألوفة هناك أن يرى الزائر رجلا عجوزا يبصق التبغ وهو يتمشى بهدوء يلبس ثيابا من جلد الوعل وذيل قبعته الجلدي يتدلى الى عنقه •

وفي مخيم قرب محطة جوزيف كان الدخان يتصاعـد من مواقد لا حصر لها ، ورائحة خبز الذرة ولحم الخنزير تملأ جو المكان • وكانت غالبية المحتشدين هنـاك أناسا محترمين خلوقين يسرعون للتعاون فيما بينهم عند الحاجة •

فاذا ما تحدث ولد مع أبيه قائلا : « اننا لا نستطيع ان نستمر في طريقنا غدا ، اذ ان (الاكس) الخلفي معطل ويغلب على الظن أن العطل حدث عندما جنحنا الى الاخدود » • وما كاد الابن ينتهي من حديثه حتى كان عدة رجال يندفعون من عرباتهم بفأس ومطرقة ليقدموا لهم ما استطاعوا من عون عن طيب خاطر •

وفد على المخيم ذات مساء مائة عربة أراد ركابها قضاء الليل على شاطيء رملي عند ضفاف نهر من بلدة القديس (جو) في موطن الهنود • ثم تجمع المسافرون حول نار المخيم يغنون : « موطني ، أيها المكان الجميل ، واغنية الحياة على موجة المحيط » •

ولم تلبث السماء في الليل أن تلبدت بالغيوم ، وصحا المخيمون على صوت المطر ينهمر عليهم • وكان من بينهم جيمس آبي ، فتى من مقاطعة أنديانا ، أحس بالمطر البارد يلطم وجهه فتذكر وطنه وأمه وفراشه المريح الجاف ، في الوقت الذي كان المطر يبلله فتسري الرعشة في أوصاله • غير أنه مالبث أن سرى الدفء في جسمه ثانية بعد ان شرب بعض الشاي الذي قدمه له صديقه بيلي • ثم عاد يفكر في متابعة المغامرة •

وفي الصباح انتظمت العربات في صف طويل وتهيأ كل شخص للرحلة • فعزف أحدهم لحنا على الكمان ، وابتدأ آخر بالغناء ثم علت اصوات الجميع تغني (آه سوزانا) •

لقد بدا لهم اليوم الاول من رحلتهم طويلا • كما كانت شطئان احدى الخلجان موحلة شديدة الانحدار، فلاقوا صعوبة كبيرة في وصولهم الى الجدول بوساطة قاطع وضعه المسافرون السابقون • وبعد ان اجتازت العربات الاولى الوحل ، غاصت فيه حتى أعلاها عربة كانت حمولتها ثقيلة فتعاون الجميع حتى استطاعوا انتشالها •

وبعد ظهر ذلك اليوم وفيما كان جيم آبي يتمشى قرب عربته فوق بقعة معشوشبة ، اذا بكلبه ينبح بشدة كما أخذ حصان يصهل ، فانتبه جيم للامر واسرع الى بندقيته وأردى أفعى ذات أجراس ثم ألحقها بسبع أفاعي ، وأخذ الرجال حذرهم لذلك بعدها •

وكان جيم وأصحابه يرون أشياء من مختلف الانواع خلّفها أصحابها وراءهم في الطريق • ففي ناحية منها شاهدوا صندوقا جميلا ، وفي ناحية اخرى وجدوا برميلي دبس • وقد ترجل جيم والتقط من الارض كتاب « الدليل الى حقول الذهب » وفي زاوية أخرى شاهدوا مدفأة للطبخ كان صاحبها قد اصطحبها معه غير أنه تخلى عنها عندما تبين له أن الطبخ على نار بعير الجاموس، كما كان يفعل الآخرون ــ اسهل من الطبخ على المدفئة •

وفي احدى الامسيات اقترب قطيع كبير من الجاموس البري من قافلتهم بحيث أصبح من الضروري تنبيه الرجال لذلك ، فصاح : « احذروا هذا القطيع يارجال • اذا جفل فان

افراده ستهدم المخيم في ثوان » .

وهكذا وقف الرجال هادئين يراقبون بكل قلق ذلــك القطيع وهو يتابع سيره ويجتازهم .

وقد حدث أن انفرد أحد الرجال وابتعد عن القافلة ليقتل جاموسا كان قد شرد عن القطيع . وجاء صوت الطلق قويا فجفلت الخيول والثيران وجن جنونها .

كان جيم يضحك أحيانا وهو يقرأ اسماء العربات مثل : «صلبةوجاهزة» و «الى كاليفورنيا بالصاعقة» و« ساكرامنتو أو المــوت » . ولكنه كان يكتب عــلى شوادر العربــات كلمة : « الفيل » و « رؤية الفيل » كطريقة يعني بها « اني ذاهب لارى كل شيء » .فلقد كان الفيل آخر ما يرى غير أنه كانأروع الاشياء.ولقد قال«ب.ت. بارنام»إنالفيلكانأعظم ما جذب نظره . وحيث تبدأ الفيلة بالظهور كانت الرحلــة تصعب .

كانت العربات تسير في مجموعات ، تتألف كل مجموعة منها من عدد قليل من العربات تشبه القطار . وكان لكلقطار رئيس منتخب ينظم سيره . لقد كانت طريقة مجدية تتلافى بها العربات خطر الهنود وهي مجتمعة .

وما أطل شهر حزيران حتى كانت مجموعة جيم المؤلفة من سبع عربات على بعد شهرين من وطنها انديانا ، وكانت ترى على امتداد الطريق قبورا كثيرة . فشكر جيم ربه على

صحة جميع أفراد قافلته الجيدة، في وقت كانت الكوليرا تفتك في سرعة بالرجال والنساء والاطفال • كما كان لا يزال يتوفر لهم ما يكفي من العشب لدوابهم ، حيث ان تلك السنة كانت وفيرة الاعشاب بحيث غطت السهول الفسيحة • غير أن الماء كان غالباً رديئا وخطرا عليهم وعلى دوابهم معا • كما كان الوقود نادرا أيضا ، أضف الى ذلك أنهم كانوا يضطرون أحيانا أن يجمعوا بعض الاعشاب الجافة ليطهوا طعامهم وأحيانا كانوا يأكلون اللحم نيئا •

عبروا نهر « بلات » عند حصن « لارمي » فدخلوا بذلك بلادا تختلف في طبيعتها ، اذ كان القلي والملح والكبريت تملأ التربة، مما ادى الى موت الكثير من الخيول والثيران والدواب التي كانت هياكلها منتشرة على امتداد الطريق • كما ان اقدام ثيران عربات جيم تقرحت، غير ان القافلة تابعت طريقها رغم ذلك•

قال جيم لبلي: «أنه لغريب حقا أن تظل الثيران قادرة على السير ! انظر الى ثوري هناك ! لقد كنا حكماء جدا عندما أخذنا الثيران لا الخيول لتجر أمتعتنا » •

ثم لاحت الجبال بعيدا أمامهم • ووصلوا الى نهر سويت ووتر (المياه العذبة) الا ان مياه هذا الجدول النقي كانت عاجزة عن ارواء ظمأ الرجال والدواب ، ومن ثم تابعوا السير في مناطق صخرية وعرة حتى وصلوا الى الوادي حيث يجري نهر الباسفيك ويرسل بمياهه الى المحيط الباسيفيكي •

وهنا تفرعت العربات في طرق مختلفة ، فاتخذ جيم طريق

ساولت‌ليك (البحيرة المالحة) متجها الى كاليفورنيا •

وصاح جيم : « انظروا الى هذا » • كانوا قد دخلوا منطقة صحراوية رهيبة حيث كانت تنتشر حولهم جثث الحيوانات والقبور وحيث لاعشب للثيران ولا شيء يرى سوى الصبير ونبات القصعين •

فأخذ الرجال يسيرون ليريحوا دوابهم ، فجفت شفاهم وتشققت ، كما وتورمت ألسنتهم في حين كان الليل باردا ، هذا التغير من حرارة النهار المحرقة الى برودة الصقيع في الليل سبب في اصابة الكثير من المسافرين بالزكام الذي لا يلبث أن يتحول الى بنيمونيا •

سأل جيم كشافا عجوزا كان يسير بجانبه عن مصير الحيوانات، وقد نفذ العشب، فكان الجواب الوحيد الذي استطاع أن يعطيه : « أعتقد أنها سوف تموت » •

وذات نهار تعرضت القافلة لخطر من نوع آخر • اذ مروا في طريقهم بجماعة من الهنود الذين أظهروا لهم كل ود وصداقة • واستقبلوهم بعبارات الترحيب التي كانوا قد حفظوها من المسافرين ، فاطمأنت لهم جماعة جيم • وفي الليل أغارت فرق السلب من هؤلاء الهنود تحت جنح الظلام على القافلة لتسرق الجياد وتقضي بنبالها على الثيران •

كما صادفوا في احد الايام فئة من المسافرين تدفن رجلا كان قد قتله هندي وهو يقوم بالحراسة في الليلة السابقة • ومن ثم تابعوا طريقهم واجتاوزا خمسة اميال من الصحراء

ومروا بها مبولوسنك • وفي الطريق كان جيم يحصي عـــدد العربات التي هجرهـــا أصحابها ، وما أن وصل الى الرقـــم ثلاثماية واثنين وستين حتى أقلع عن العد لاصابته بدوار •

وبعد ان عبروا الرمال الحارة قال جيم لبلي : «اعتقد أننا قد اجتزنا منطقة (الفيل) » •

غير أنهم لم يكونوا قد اجتازوها بعد • فاجتياز « الفيل » كان يعني اجتياز سلسلة جبال نيفادا ذات القمم المكللةبالثلج والتي كانت تمتد حقول الذهب على مسافة قريبة من وراءها•

بلغ الرجال المنطقة الجبلية ، فأخذوا يتسلقونها وكلما مضوا في تسلقهم كان التعب يزداد تمكنه منهم، في حين كادت حيواناتهم تموت هناك • وهم مع ذلك مصممون على التسلق الى أعلى الجبال •

ولم يكن هبوط الجبال أسهل من صعودها • كان عليهم ان يبذلوا جهدا كبيرا كي لاتندفع العربات الى الوديان • وأخيرا بدت لهم حقول الذهب تمتد تحتهم بأزهارها اليانعة وجداولها الباردة تحمل لهم الوعود الذهبية •

انها كاليفورنيا ! واستنشق جيم طويلا الهواء المعطـــر بأريج الصنوبر وشجرات التنوب • لقد بدت عضلاته المنهكة وكأنها تستعيد حياتها من جديد • وهكذا هبطوا ببطء باتجاه نهاية الرحلة •

لقد غادروا وطنهم في نيسان وبلغوا غايتهـم في آب . وتحركت عرباتهم الى مخيم المنقبين في ويفرسفيل ، الا أن أحدا لم يرحب بهم أو يعرهم اهتماما، اذ كانت الاعداد الضخمة تصل المنطقة متتابعة مما لا يمكن معه الانتباه الى عدد قليل من القادمين الجدد. ومع ذلك فقد أحس جيم وكأن كاليفورنيا بذاتها ترحب بهم ، فتناول سراويله وابتسم الى بلي وصاح : « تعال يا صاح ، دعنا نذهب . أين معـولي ورفشي ؟ أين الذهب » ؟



١٠

معول ورفش

في ذلك المساء، أخذ القادمون الجدد يتكلمون عن الذهب وهم جالسون حول نار المخيم . واخذوا يسألون : « أين الذهب ؟ » فاقترب منهم من كان قد أمضى هناك بعض الوقت وأخبرهم أن الذهب يوجد في التربة وفي الجداول فيما كان يدعى « العرق المعوني الام » . وهو طبقة صخرية من الكوارتز تضم عروقا ذهبية تمتد عدة أميال في القاعدة الصخرية لجبال وتلال السلاسل الجبلية .

اما الرواسب الذهبية فكانت عبارة عن ذهب تكسر

وانفصل عن صخر الكوارتز الام بتأثير عوامل الحت من مطر وثلج ومياه جارية • ومن ثم انجرف ذلك الذهب الى الجداول التي جفت مياهها فيما بعد لتترك الذهب على شكل حبيبات مترسبة في التربة الناعمة •

قضى جيم آبي ليلا مضطربا وهو يحلم بالثروة والذهب•

وفي الصباح التالي نصحه أحد المنقبين المسنين وصديقه بلي بأن يبيعا أمتعتهما ويتخلصا منها • فأسرع جيم وصاحبه الى بيع ماخلفاه وراءهما من عربات وثيران وامتعة بالمزاد العلني ، ومن ثم اقتسما المال فيما بينهما •

وانضم الى جيم وبلي مرافق آخر يدعى رولي ، وقرر الثلاثة ان يعملوا معا • ثم ذهب جيم واشترى رفشا حادا بثلاثة عشر دولارا ومعولا باربعة دولارات وخمسين سنتا • أما القدور والسطول فقد كانوا أحضروها معهم • أما القدور فيمكن استعمالها لغسل الذهب أو لطهي الطعام وشي الخبز الذي كان خليطا من الدقيق والماء وملح القلي للتخمير •

وعندما خرجوا من ويفرسفيل الى التلال التفت بلي الى جيم قائلا : « سوف يكون هذا العمل سهلا علينا ، فمشقة التنقيب لا تقاس بمشقة الرحلة وشدائدها » •

وهكذا ساروا حتى اقتربو من جماعة من المنقبين ذي اللحى الطويلة يعملون في مسيل • وقرر الفتية الثلاثة أن يجربوا حظهم بالقرب من تلك الجماعة • فبدءوا في ضرب

الارض بسرعة وقوة تطايرت معها شظايا الصخور في الهواء ، بينما كان المنقبون الآخرون من ذوي الخبرة يضحكون ويقولون خففوا من حماستكم ، فسوف تفتقدونها وتترنحون كذيل الماشية •

غير أن الفتية ثابروا يضربون معاولهم الحادة في الارض الغنية وكأنهم يتوقعون كنزا في كل لحظة • ومن ثم كانوا يملأون قدورهم بالتربة المتفتتة والرمال ويهزونها الى الامام والخلف فتنفرد بذلك أكبر نسبة من الشوائب الى جوانب القدور • وبعد ذلك كانوا يتوجهون بقدورهم المليئة بالشوائب الى جدول صغير — حيث يقوم منقبون آخرون بالغسل سعيا وراء الذهب ، فيملأونها بالماء ويهزونها الى الامام والخلف ويزيلون الرمال بحذر • وقد لاحظ جيم بعض الحبيبات الثقيلة ترسو في قاع قدرة ، بينما لم يعثر صديقاه على شيء • كانت تلك الحبيبات ذات لون كامد لا يشبه الذهب كثيرا ، غير أن جيم علم أنه قد وجد شيئا له بعض الاهمية ، فنادى أصدقاءه الذين مشوا اليه بتثاقل صارخا : «لقد وجدته • انه الذهب» • وهنا اقترب منهم اثنان من المنقبين الآخرين وقالا : « حقا انه ذهب ، وقيمته اربعة دولارات » •

لقد استمروا طيلة يومهم يحفرون ويغسلون ويفتشون من غير أن يحصلوا على شيء • وفي المساء لم يستطع جيم واصدقاؤه أن يعدوا طعامهم من الخبز واللحم الا بصعوبة ، اذ آلمتهم عضلاتهم ألما شديدا وتأوه جيم قائلا : « هل قال

احدكم اننا زدنا خشونة بعد أن اجتزنا السهول والصحارى والسلاسل الجبلية لنيفادا ؟ ان عضلاتي ما زالت رخوة تشبه الجبن كما كنت في المدينة • فأجاب بلي وهو يلقي بجسمه على الارض وينظر الى النجوم المتألقة : « انك على صواب ، ان هذا العمل ليحني ظهر الانسان ، يكفي هز تلك القدور حتى يتألم جسمي كله » •

كانت كاليفورنيا بلدا جميلا ، اذ كان هواؤها منعشا ولا تنزل هناك الامطار من الربيع حتى الخريف • كان نهارها دافئا وليلها باردا مما جعل الشبان فرحين بأغطيتهم الثقيلة • كان لديهم خيمة ولكنهم لم يستعملوها الا ليحفظوا عدتهم فيها لانهم فضلوا أن يناموا والنجوم تتألق فوقهم والصنوبر يعطر الهواء •

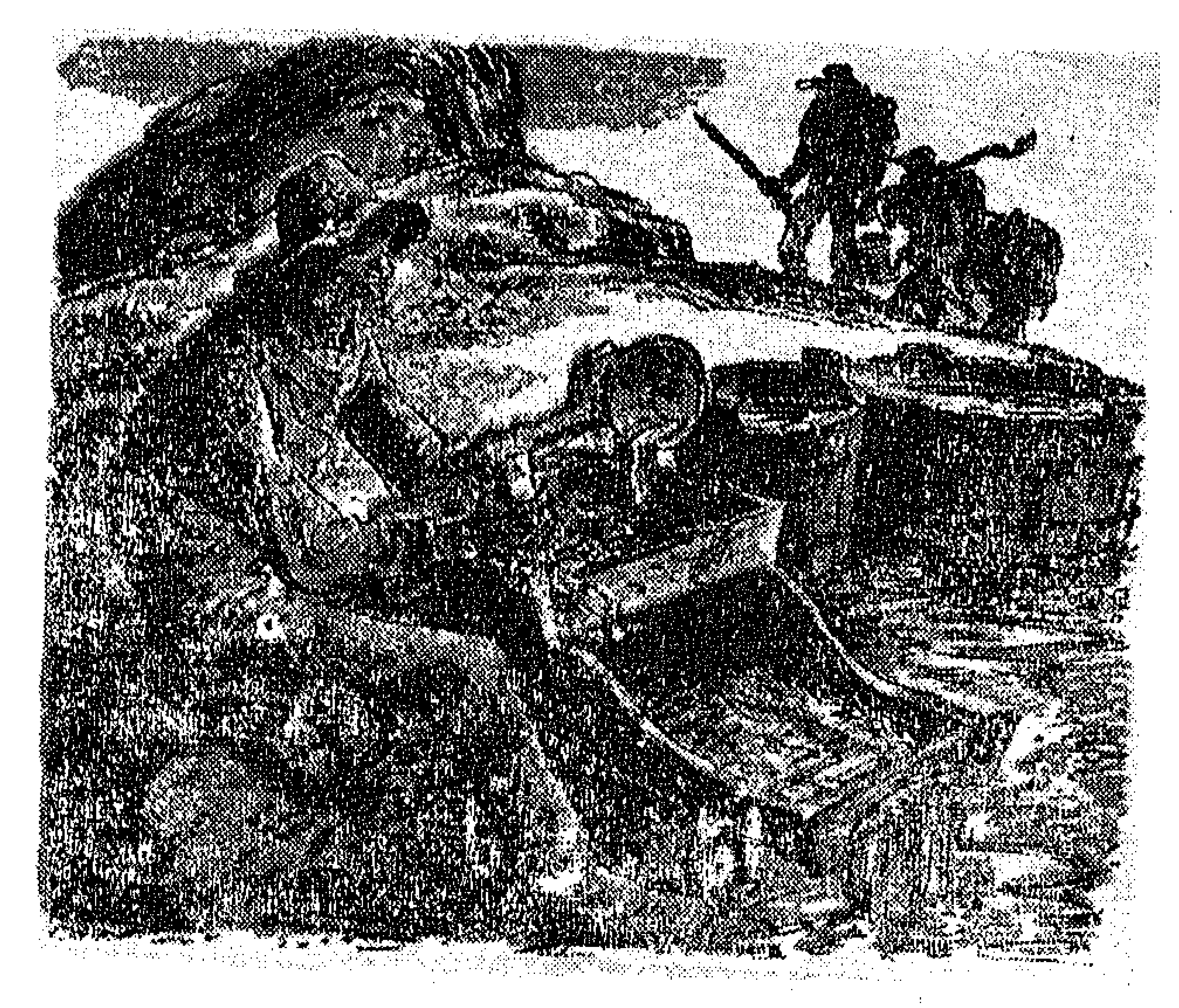
وفي اليوم التالي انتهوا من تلك المنطقة وذهبوا في طلب مكان آخر • الا أن كل بقعة من الارض هناك كانت قد ملئت بالحفر والرجال • وفي المساء التالي كتب جيم في مذكراته : إنهم غسلوا خمسين سطلا من الشوائب فلم يحصلوا منها الا على نصف أوقية من الذهب بعد أن غاصت أقدامهم في الماء واخترقت آلامهم العظم •

كانوا عندما ينتهون من حفر منطقة يطلب جيم من صديقيه أن يفتشوا في مكان آخر فيأخذون في التجول في المنطقة حتى يصل جيم الى مكان فيقول : « هنا ، يبدو أن هذا المكان يعدنا بشيء • دعونا نحفر هنا » •

وهكذا كانوا يعملون بكل جهـد مستطاع ، ومن ثم يحملون الشوائب مئات الياردات في ذلك الوعر الصخري حتى يصلوا الى جدول • فيخرجون في نهاية يومهم بنصف أوقية من الذهب • أما في أوقات طعامهم فكانوا يجلسون في الظلال وقد أضناهم التعب ليأكلوا ماكانوا طهوه في الليلة السابقة من الفاصولياء على الرماد الحار لنار المخيم • وكان يجلس بالقرب منهم منقبون من جميع الاشكال والجنسيات• وفيما كان جيم يتأملهم جميعاً باهتمام ، لاحظ بينهم «شخصاً مسناً » ــ بالنسبة لأولئك الفتيـان ــ يقارب الثلاثين من العمر وذو لحية حمراء تتدلى منه وهو يحفر كملاك محارب • كان لديه هزاز ولم يكن يساعده أحد •

أخذ الشبان يراقبون ذلك المسن باهتمام • حيث إنهم كانوا قد بدأوا يدركون أن عليهم أن يحصلوا على أحد هذه الاختراعات ليدخروا الوقت والجهد • وبدا لهم أن هـذا الرجل يغسل منفردا بذلك الهزاز ثلاثة أضعاف ما يغسلونه جميعا • كان ذلك الهزاز يشبه سرير طفل يهزه الرجل من جانب لآخر بيد واحدة ، ثم يتوقف ليصب فيه الشوائب باليد الاخرى • كما كان يتألف من قسمين علوي وسفلي • أما القسم العلوي منه فكان على شكل علبه ذات قاع يتألف من صفيحة معدنية مثقبة تستند على جوانب القسم السفلي • والقسم السفلي يتألف من قاع مسطح مائل الى الاسفـل وجانبين متموجين وفتحة في الامام تعترضها قطعة خشبية

لتجميع الذهب الذي يمكن أن يجتاز فتحة أخرى في عارضة خشبية أخرى قرب وسط هذا القاع •



ويستند الهزاز من الاسفل الى قطعتين خشبيتين منحنيتين انحناء يسمح للهزاز بأن يهز الى الامام والخلف •

وسأل بلي بلهفة : « كيف يمكننا الحصول على مثل هذا الشيء يا جيم ؟ لقد قال لي ذلك الرجل إنه يكلف مئة دولار » • فأجاب جيم : « الطريقة الوحيدة التي أعرفها هي أن نصنع واحداً مثله ، وإلا فعلينا أن نوفر من الذهب ما يكفي لشراء احداها من مدينة ساكرامانتو • إذ يقال أن الهزاز يصنع هناك، وأن صانعه قد أصبح غنيا جدا » • فقال بلي : « حسنا ، اذن دعنا نتابع الحفر » •

وابتعدوا مسافة خمسة أميال عبر الوادي، حيث كانت أشعة الشمس حـارة اضطرتهـم الى التوقف عن العمل بعد خمس ساعات من التنقيب ليرتاحوا في خيمتهم فترة من الوقت • في ذلك الليل لم يذق جيم طعم النوم لشدة تعبه • وفيما كان يضطجع مستيقظا إذ به يسمـع نعيـق بومة في الغابة ، فخامره الشك من ان يكون الهنود هناك قد شنوا الحرب على المنقبين • كما سمـع أيضاً عواء ذئب أسود ، فارتجف لسماع هذا الصوت يرتفع ثم ينقطع في سكون الليل • وكان أحدهم في الليلة السابقة قد أخبر رولي عن صديق له ابتعد في تجواله كثيرا عن المخيم في الليل، فوجد في اليوم التالي وقد مزقته الذئاب •

استيقظ الجميع في الصباح ، وكادوا لا يصدقون أعينهم لرؤية آثار وحش هائل تحيط بمخيمهم •

فهز أحد المكسيكيين المخيمين هناك كتفيه وانتزع عنه شاله القرمزي لحرارة الطقس وقال : « كان ذلك السيد يا أصدقائي وحشاً أشيب مريعاً ، أتى يشمنا في الليل ثم عاد أدراجه » •

كان ذلك اليوم أقسى ما مر عليهم من أيام • فقد استمر الاصدقاء الثلاثة في الحفر ساعات ثم أخذوا ينقلون التراب على أكتافهم الى الجدول • وكان جيم يتمتم وهو يعمـل : « اذا كان حمل أكياس الاقذار طيلة اليوم تحت أشعة الشمس المحرقة وفوق الصخور والمنحدرات ليس بعمل شاق ، فما

هي الاعمال الشاقة » •

ثم كانت حصيلة يومهم من الذهب ما يعادل تسعة دولارات وبضعة سنتات للثلاثة ، ولكنهم قرروا البقاء في ذلك المكان ، حيث إن جارهم بدأ يصبح غنياً ، بعد أن كان في باديء الامر لم يستفد من حفره ثم حصّل في برهة واحدة من الذهب ماقيمته خمسة وسبعون دولاراً !

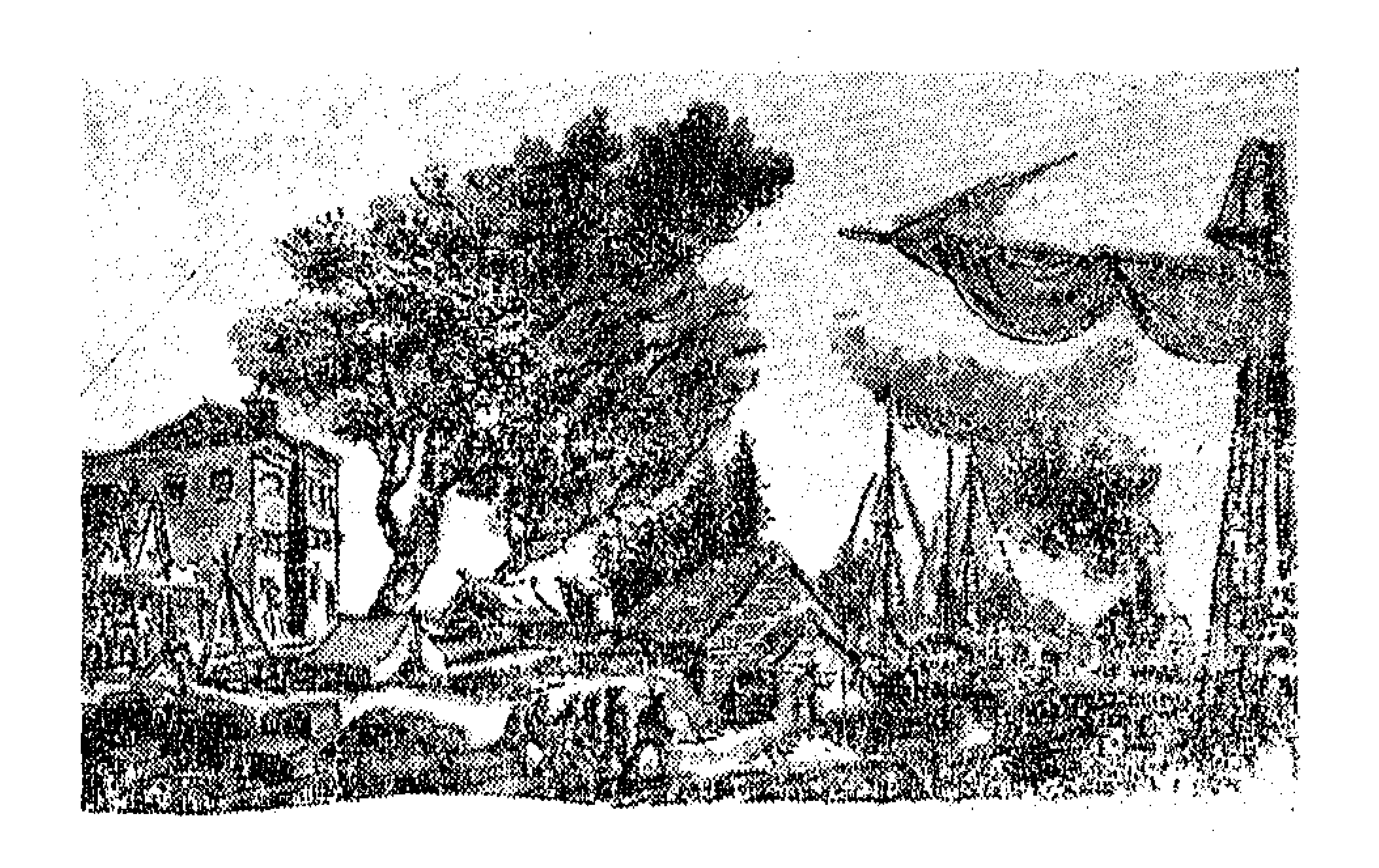
فأخرج جيم سكينه وأخذ ينشيء في الصخر شقاً ، لأن بعض الجيوب الذهبية كانت توجد في القشرة السطحية للصخر والتي يمكن حفرها بالسكين • ثم أخذ جيم يتحسس الاماكن ويحفر ويتفرس في قطع الصخور ، ولكنه لم يجد أية جيوب ، فعاد الى الغسل بقدوره •

عند مغيب الشمس قال لجيم رجل كان يأخذ قسطه من الراحه بجانبه : « انت لاتعلم ياولدي ، ان اسم هذا المكان « ويفرز كريك » ، وأنه أتى اليه في العام الماضي صاحب عزبة لتربية الدواب يدعى (ويبر) مع ما يقارب الالف من الهنود المتوحشين الذين كانوا ينقبون له عن الذهب مقابل حصولهم على قوتهم • ثم حصل في نهاية الشوط على ذهب تقارب قيمته الألف دولار • انظر تلك الحفر هناك حيث عمل الهنود » •

فقال جيم بقنوط : « إذن من الافضل لنا في مثل هذه الحالة أن نفتش عن أماكن أخرى • لابد أن (ويبر) قد حصل على ذهب هذه المنطقة كله » •

وهكذا أخذ الاصدقاء الثلاثة يتجولون من مكان الى آخر ، ويحفرون كل مكان كانوا يأملون فيه بالثروة • غير أن الحظ لم يصادفهم مطلقاً •

وبمرور الايام اعتـاد جيم الحياة الخشنة والاعمـال الشاقة ، كما ألف الحفر والغسل بالهزاز الجديد الذي كانوا قد اشتروه • ولم يكن جيم يميل الى الذهاب الى المدينة في أيام الآحاد كما يفعل الآخرون ، بل كان يفكر في ذلك اليوم بوطنه وبحياته الهادئـة المطمئنة هناك • كان يجلس تحت الاشجار يكتب الرسائل لأمه واخته • وبين الفينة والفينة كان يرفع رأسه ليصغي الى صوت الفتيان الذي يصله من بعيد، ثم يأخذ في الضعف وهم يبتعدون في الوادي في طريقهم الى المدينة منشدين : « أيها الوطن ، أيها الوطن ، أيها الوطن الجميل ، لا مكان مثل الوطن » •



١١

مدينة على النهر

في عام ١٨٤٩ كان مرفـأ سوتر مخيماً صاخباً حيث كان المنقبون يتسوقون ويقامـرون ويشرثرون ويسـكرون • والمسافرون الجدد الذين يدخلون هذا المخيم الذي أصبح أسمه الآن «ساكرامنتو» كانوا يحدقون بفضول في تلك المدينة المخيم • كان سكانها مشغولين شغلا حال دون زراعتهـم الخضروات أو الفواكه • ولذلك كانوا يحضرون البصل والبطاطا من سان جوز بدولار لكل رطل • كما كانت السفن ترسو على بعد ميل من المدينة ، وعلى الضفاف كانت تتكدس

البراميل والعلب والرزم والصناديق • أما الاهالي فكانوا يستعملون عددا من السفن الراسية هناك كمخازن لهم •

وكلما كانت ترسو في الميناء سفينة جديدة من سان فرانسيسكو كان يتجمع حشد من الرجال يوم الاحد في أحسن ثيابهم يهتفون ويمرحون بروح عالية •

كان اثنان من المنقبين يجلسان على صندوق قرب ضفة النهر يتحدثان وهما ينظران وصول سفينة تجارية تدعى (مكيم) وبدأ الرجال يجتمعون حولها لرؤية السفينةالبخارية الاولى التي كانت ستصل الى ساكرامنتو •

وعندها رست سفينة شراعية في الميناء ثم غابت بينالسفن وأخذ الرجال يراقبون الهنود باهتمام وهم ينقلونالبراميل والصناديق الى الشاطيء • كانت هذه كلها تخص (سام برانان) الذي كان ينقل مخزنه من سوتر سفورت الى ساكرامنتو •

فعلق أحد المنقبين قائلا : « إنه لأمر محزن لعجوز من سوتر ، التي كانت هذه القلعة تشكل المركز التجاريالوحيد في هذا القسم من القطر • لقد انتهت الآن تقريباً ، ولم يعد يذهب أحد اليها » • وفجأة سمع صوت عال « لقد أتت • أنظروا كيف تمخر عباب اليم ، أوليست جميلة ؟ » وتابع يقول : « سوف أسافر عليها في رحلتها التالية » • وهكذا اندفع الناس الى الشاطيء •

في حين كانت (مكيم) تشق طريقها ببطء الى المرسى • لم تكن كبيرة جداً إلا أنها أكبر سفينة رست في هذا المكان • وكان على ظهرها رجل ضخم ذو صوت جهوري يعطي الاوامر بأعلى صوته • فقال أحد الرجال المحتشدين: « هل هذا القبطان ؟ » فأجاب صديق له : « كلا ، إنه الضابط الثالث (بيل كورليت) • إنه في قوة القبطان، لأنه هو الذي يدير الباخرة ، ويقال إنه ضبط مرة صينيين يسرقان غرفة إحدى المسافرين فربط خصلات شعرهما معاً وألقى بهما من على ظهر الباخرة الى البحر ، فأخذا يبصقان المياه كالدرافيل • كما أنه لا يحب المقامرين أصحاب الكشتبان أيضاً • وإذا وجد شخصاً منهم على ظهر سفينته يسرع بقذفه الى البحر » •

فقال الرجل : « إذن يجب أن ينزل الى الشاطيء ليرى كيف ينتشر القمار بين كل خيمتين » • وأضاف صديقه : « والأسوأ من هذا أن مخازن البقالين فيها طاولات للقمار » • فأجاب الأول : « ماعدا مخزن هامبتنفتن الذي يربح الكثير برفعه أسعار زاد المنقبين » •

وهنا نهض الرجلان وتمشيا عائدين الى البلدة ، التي انتشر فيها ما يسمى بالمطاعم ، حيث الاسعار كثيرة الارتفاع كأنك في سان فرانسيسكو ، إذ كان الطعام الجيد والتسلية مهما ارتفع ثمنها اقصى ما يبغيه المنقبون وقد أنهكهم التعب من أجل الذهب •

أما فيما وراء ساكرامنتو فكان يمتد صف من الاشجار • وكانت الوحوش الكاسرة الضارية تقترب كثيراً من المدينة حتى يسهل معها اصطيادها ، ثم تعود مخلفة آثارها وراءها • وفي الجانب الشمالي من البلدة كان يوجد مستنقع عميق ، كثيراً ماكانت الماشية تغرق فيه وهي تتجول بجواره • ومن فترة لأخرى كانت الرياح تحمل معها رائحة المسلخ تختلط برائحة اللحم المشوي وروائح الدواب والجياد والخنازير التي تنبعث من الشارع وتملأ جو البلدة •

كما كان صوت المطرقة والمنشار لا ينقطع حيث يتم الحصول على الالواح الخشبية واستخدامها في أعمال البناء • وفي هذه البلدة من القطر ، تم بناء أول مسرح كان يختال باسم (الصقر) • ولقد حل هذا المسرح محل خيمة سبق أن قُدمت فيها بعض المشاهد منذ بضعة شهور مضت • وكانت الصحف تنشر أسماء الممثلين والموسيقيين والراقصات الذين سيزورون المناجم فيرحب المنقبون بهم ويحضرون حفلاتهم أسراباً أسرابا ، وعندما يعجبون بأحد المشاهد كانوا يرشقون الممثلين بالذهب ويهتفون لهم بأعلى أصواتهم •

كان يجلس بين جمهور المحتشدين شاب هادىء يغلب عليه الزي الجرماني يتأمل أولئك الرجال وكأنه في حلم • إنه الابن الأكبر للعجوز الطيب (سوتر) الذي كان قد أسس مملكة صغيرة في تلك القفار • كان الفتى سوتر قد أتى من أوروبا وهو يتوقع أن يجد نفسه أميراً على ملكية والده • غير

أنه وجد أن أراضي والده الفسيحة وقطعانه كادت تقل بعد أن هجر (سوتر سفورت) •

وعندما حاول (سوتر) أن يعيد ثروته بالتجارة ويبيع البضائع فشل في مسعاه • إذ تكاثر الناس عليه فيما يشبه الاحتلال واغتصبوا كل ممتلكاته • وبين ليلة وضحاها انتزعوا منه أراضيه وحولوها الى بلدة • وفتحوا فيهاالمخازن فجذبوا بذلك العدد الكبير من زبائن القلعة الدائمين • ثم أطلقوا النار على القطعان وتحاربوا برماتهم الستة مع الرجال القلائل الذين كانوا لا يزالون يعملون مع (سوتر) • دون ان يستطيع (سوتر) فعل شيء •

لقد تجاهل الناس مطاليبه ، فلم يكن هناك أي قانون سوى قانون المخيمات الذي سنه المنقبون أنفسهم • وهكذا انسحب (جون سوتر) الى مزرعته (هوك) على النهرحيث كان يقضي الوقت هناك محاولاً أن يبقي على بعض الهنود ليعملوا لأجله بعد أن هجره آخر رجاله الى حقول الذهب •

ولذلك كان الشاب البائس (سوتر) يسعى في أن تبلغ مطاليب أبيه مسامع الحكومة وأن يجد الوسائل لمحاربة لصوص المواشي والسفاحين ، وليحارب أولئك الناس اللاقانونيين والمختبئين في الغابات الكثيفة قرب مزرعة (هوك) الذين يسلبون يومياً بعض ماشية (سوتر) ليبيعوها لحماًضأناً في ساكرامنتو •

كما كان هذا الشاب قلقاً على والدته آنا التي عادت من

أوروبا مع إخوانه وأخواته وهي تتوقع أن تجد في هـذه الربوع الأمـان والثروة والراحة مما كانت تفتقـده فـي سويسرا .

وحتى جون سوتر نفسه حاول مرة التنقيب عن الذهب. فأخذ هنوده ليحفروا له ، ونجح في بادىء الامر . إلا ان العمال لم يلبثوا أن أدركوا أن كلاً منهم يستطيع أن يعمل لنفسه . وهكذا هجره رجاله الواحد تلو الآخر وأصبح كل منهم يعمل لصالحه .

وهنا أدرك (جون سوتر) وابنه أن أملهما الوحيد في المستقبل هو جعل كاليفورنيا ولاية في أسرع وقت .

شاهد الشاب سوتر ــ وهــو يلاحظ الحشد ــ التاجر الكبير (كوليز هاتنفتون) وهو يتمشى وقبعته العريضة الحواشي تكاد تصــل الى كتفيــه . كــان (هاتنفتون) أميركياً مكاراً بخيلاً الى أبعد الحدود . وقد سمع الشاب (سوتر) الكثير عن أخباره . فمنذ سنة مضت عبر (كوليز) برزخ باناما وانقطع هناك مدة ثلاثة أشهر . غير أنه لم يتسكع طيلة هذه المدة بل استأجر سفينة صغـيرة حملهـا بأكياس البسطرمة والبطاطا والأرز والمشروبات وباعها بربح عظيم . وهكذا بينما كان المنقبون الآخرون يصلون الى كاليفورنيا وجيوبهم خاوية من المال ، دخلها (كوليز) هذا ومعه خمسة آلاف دولار .

ولم يذهب كوليز للتنقيب عن الذهب بل أسس مخزناً

قضى به على مركز (سوتر سفورت) التجاري ونقله اليه .
كان من عادة (كوليز) في تجارته أن يخبيء البضائع عندما تكون الاسعار منخفضة ، ثم يعود ويبيعها عند ارتفاع تلك الاسعار . وبذلك أصبح لديه الآن عدد من الفتيان يعملون له طيلة اليوم بكل نشاط وتيقظ . لقد فرض عليهم أن يكونوا في فراشهم في تمام الساعة التاسعة مساءً . وبهذا لم يكن أحد من الاهالي يرى أحد هؤلاء الصبية في قاعات القمار .

كما كان يتردد باستمرار على سان فرانسيسكو ليسد نقص بضائعه . وكان من عادته آنذاك أن يقف في كلارك بونت يحدق بنظارتيه القويتين . وعندما يرى سفينة تدخل الميناء كان يقفز الى زورقه ويجذف حتى يصبح بجانبها . ثم يتسلقها ويساوم على حمولتها ويدفع تأمينا على ثمن البضائع من الذهب الذي يحمله في محافظ مثبتة الى حزام حول خصره !.

فكر الشاب (سوتر) في أنه من الافضل لوالده أن يصفي أعماله نهائياً في فورت ويعود الى مزرعته ، وخاصة وقد هجرت (سوتر سفورت) تقريباً . كان لا يغيب عن ذهنه أن هذا المكان حيث تقوم مدينة الخيم يخصه وأباه فقط ، ولكن ما العمل ؟ .



١٢

عطلة المنقبين

أضحت التلال على طول مجرى نهر ساكرامنتو مرصعة بالمدن الصغيرة خلال ثمانية شهور تلت عثور مارشال على ذلك المعدن البراق في خندق الطاحون • وخلال ستة أيام من الاسبوع كانت هذه المدن تضج بأصوات المعاول والرفوش وهي تعمل في الصخور • أما يوم الاحد فكان يختلف عن بقية الايام •

نحن في يوم أحد في (كولوما) التي كانت مجموعة من الخيم نصبت بسرعة على مشارف طاحونة (سوتر) • فمنذ

الصباح الباكر قام تشارلي غيلسبي بارتداء أفضل قمصانه كما نظف الوحل عن حذائه وارتدى سرواله ووضع كمية من الذهب في جيبه ، وأصبح بذلك على استعداد لينضم الى جماعة من المنقبين الغوغائيين لقضاء يوم من التسلية واللهو .

كان يسمع وقع أقدام الرجال على طول الممرات الخشبية الجانبية في الشارع الرئيسي . ثم سار تشارلي مع جماعة من الرجال الطيبين . كان بينهم رجال هاواي وبيرو في أمريكا الجنوبية، ومكسيكيون وتشيليون بشالاتهم اللماعة، وزنوج يغنون بعد أن هربوا من ولاية العبيد ، وفرنسيون وانكليز من لندن، وألمان وهولنديون وسويديون وأميركان ، ورجال يتكلمون ببطء من ولاية جورجيا وصينيون . مشت هذه المجموعة جنباً الى جنب مع تشارلي الذي كان يسمع طيلة الطريق لهجات متعددة، في حين كان هنود كولوما لايزالون مأخوذين بهدوء الصباح وهم يقفون أمام الصالونات .

وفي الشارع المغبر كان المقامرون ينادون : « هلموا وجربوا حظكم في لعبة الصدفة القديمة . إنظروا حبة الفاصولياء هذه ، إنكم ترونها الآن ، (ثم يأخذون بتنقيلها من صدفة الى أخرى بسرعة كبيرة ، ثم يقولون « غير أنكم لاترون شيئاً الآن . ضعوا رهانكم فوق الصدفة التي تظنون أن حبة الفاصولياء تحتها » وهكذا تجمع المنقبون حول رجلٍ استند بحذائه الى كتلة خشبية ووضع قشور ثلاث جوزات على فخذه . في حين كان أصحاب الخيط ينادون : « هل

تستطيعون أن تضعوا أصبعكم في العقـدة ؟ راهنوا على ذلك • راهنوا بثلاث أو ست أو ثمان أوقيات من الذهب •

ووضع دلال مـن الشرق الادنى صندوقـاً كبيراً أمـام خيمة صغيرة من الخيش وأخـذ ينادي : « بسعر الجملة ، تعالوا واشتروا يا أيها الفتية ، قمصاناً حمراء ، قبعـات ، قبعات صوفية وأحسن زوج من الاحذية يمكن أن تروه في حياتكم • أحذية لاتتأثر بالوحل ، تحك الطريق ولا تحكها » •

كان (تشارلي) بحاجة الى زوج من الاحذية ، فاقترب وأصدقاءه قليلاً من البائع وقرر أن يشتري هذا الزوج اذا كان مناسباً • وبعـد أن جربه ووجـده ملائما اقترب منه أصدقاؤه وأخذ كل منهم يعطي رأيه ، فصاح رجل ذو لحية حمراء : « إنهما ليس بآخر موديل في باريس يا هذا ، إنه لمن الأفضل لك أن تشتري حذاءً ذا شراشيب حمر » • فضج الموجودون بالضحك لنكتته • وقال آخـر بكل حرص : « إحذر يا تشارلي ولا تنخدع بحذاء لمّاع » •

تابع الدلال ضجيجه : « بعنا ، بعنا بأربع أوقيات ونصف من الذهب • تقدم أيها السيد وزن ذهبك » •

وكان لدى كل بائع ميزان صغير يزن به مايدفـع لـه المشتري • وهكذا أخرج تشارلي ذهبه ووزنه • وكانت أوقية الذهب الواحدة تعادل ١٤ دولاراً • وبهذا نرى أن ما دفعه تشارلي ثمناً لحذائه كان كثيراً على مثله • ولكن من يحتاج

الى حذاء لينقب عن الذهب يجب أن يدفع غالياً •

كان وراء تشارلي صديق له يشتري زاداً من مخزن • كان بحاجة الى سكينة لحام ليخرج الذهب من بين الصخور • بينما اشترى تشارلي والآخرون سكراً وقهوة ولحم خنزير مقدداً وفاصوليا وأكياساً من الطحين أودعوها خيمة صديق لهم حتى يغادروا المدينة • ولم تمض ساعة حتى كان الدلال انفق بضاعته وحزم ذهبه وموازينه وابتعد عن الطريق •

وفجأت دوت في الشارع صرخـــة خوف : « انتبهوا ، تفرقوا ، إنهم الفرسان » •

وكان تشارلي قد سمع بأولئك الفتيان المسمون بالفرسان، غير أنه لم يكن قد رآهم بعد • لذلك هرع مبتعداً عن الشارع بينما كان عدد من الرجال يعبرونه على ظهور خيولهم والناس يتفرقون على الجانبين • كانوا يولولون ويصرخون كالهنود ويركبون خيولهم بمهارة الهنود • كما اذهلوا الناس بما قاموا به من أعمال ، لقد أخذوا ينتقلون من جنب الى آخر على صهوات خيولهم ، ويقذفون بقبعاتهم ثم يلتقطونها من الارض، وفجأة يعودون ويعتلون صهوات جيادهم والجمهور في حبور وابتهاج •

ذهب تشارلي وأصدقاؤه بعد ذلك الى خيمة ليتناولوا الغداء • وبعد وجبة غالية وجيدة أخذوا يتمشون في الشارع ويتكلمون مع من يصادفونه • تحدثوا مع محام أصبح الآن أحد الخدم في خيمة لتقديم الطعام • ان من لم يعتد الاعمال

الشاقة حصلوا من الذهب على كمية أقل بكثير من الجهد المرهق الذي يبذلونه • فكان عليهم أن يفتشوا عن أعمال أخرى ليدخروا النقود الكافية التي تمكنهم من العودة الى أوطانهم • أما أولئك الذين سبق واعتادوا على الحياة الشاقة فقد كانوا أكثر نجاحاً في أعمال التنقيب •

كان تشارلي يستمع الى أحاديث أصدقائه ممن حالفهم أو عاكسهم الحظ في التنقيب • فسمع كيف أن أحدهم وجد كتلة ثمينة من الذهب في مكان ما ، غير أن تشارلي لم يحمل هذا الكلام محمل الجد • وأخذ يسائل نفسه : « هل هناك مكان تحت الشمس مثل هذا المكان يكون فيه الغريب والمثير هو القانون الطبيعي للأشياء وحيث لا يعرف نظام أو روتين » • ثم هز تشارلي كتفيه وأخذ يتجول ويفتش عن مزيد من التسلية هو ورفاقه •

مروا على أميركي طويل الساقين يمسك قفلاً بين يديه وينادي بأعلى صوته : « انظروا الى هذا القفل ، أنه أعجوبة العالم • سوف أراهن مقابل أي مقدار من الذهب على ان أحداً لا يستطيع فتحه خلال دقيقتين •

فاقترب الفتيان ليروا ما هناك ، لقد كان كل شيء في كولوما يجذبهم اليه يوم الاحد • أخذوا يمررون القفل من شخص لآخر فكان كل منهم يقلبه بين يديه ويهزه ثم يحاول فتحه حتى تشارلي نفسه أخذ القفل وحاول فتحه فلم يفلح •

وهنا تمتم أحد أصدقائه وقال : « دعونا نذهب ، انه أفـّاق » •

ثم أقبل منقب خشن المظهر ذو شعر أسود يكاد يغطي وجهه وصدره • فأمسك بالقفل وأخذ يعالجه بكل شراسة كأنه ثور هائج الى أن فتحه • فطفح وجهه حبورا ودهشة ونظر الى صاحب القفل الذي تظاهر بأنه يتحدث مع شخص وراءه وأنه لايرى ماحدث للقفل •

وهنا دفع الرجل الكثيف الشعر لألماني كان بجانبه وهمس في أذنه بصوت أجش : « خير لك أن تراهن ، وسوف نقتسم الارباح • فابتسم الألماني مرحباً بالفكرة ، وهكذا شق الرجلان طريقهما الى صاحب القفل •

ألقى الألماني بحقيبة من الذهب ووضع صاحب القفل بجانبها عشرين قطعة من العملة الاسبانية الذهبية القديمة • ثم تناول صاحب القفل ساعته وصرخ : « معك دقيقتان فقط » • وهكذا بدأ الألماني يعالج القفل وضغط على النابض كما فعل الرجل الكثيف الشعر محاولا فتح القفل دون جدوى •

وبعدهاقال الأميركي : « لقدانتهت الدقيقتان ياصديقي » • وأخذ النقود والمحفظة وما بها من ذهب • فالتفت الالماني في نظرة مرعبة نحو الرجل الكثيف الشعر الذي كان قد انسحب وتوارى عن الانظار • وهنا ضج الجمهور بالضحك • لقد كان ذلك الرجل الشرس شريكا لصاحب القفل • وهكذا

وقع في حبائلهما الألماني المسكين وخسر آخر قطعة ذهبية معه •

سمع شارلي صوتا بعد أن خيم الظلام على المنطقة ، فقال لأصدقائه : « أصغوا ، يبدو أن هناك كمانا • هلموا بنا نذهب •

كانت هناك حفلة راقصة للمنقبين في خيمة كبيرة على أرض تملأها الاقذار التي رصّت حتى أصبحت وكأنها خزف • وفي جانب من الخيمة كان يقف رجل طويل القامة يعزف على كمانه • كما كان يتدلى من سقف الخيمة صف من مصابيح الزيت • كان يهتز ويسمع صوته مع كل اهتزازة للخيمة بتأثير المرح والشغب •

وعندما امتلأت الخيمة بالناس توقف عازف الكمان عن



مضغ التبغ وبصق بحذر على الارض وصاح بالموجودين :
« أيها السادة ، بما أن عنصر النساء منعدم بيننا فلنحتفل بدونهنّ ، ليدر كل منكم قفاه لناحيتي ، وهنا علا ضحك الحاضرين واستداروا جميعاً كما طلب منهم ذلك الرجل الذي أضاف : « إن كل من ينتهي سرواله منكم برقعة من الخيش على قفاه هو إمرأة هذا المساء . انتظموا في أماكنكم » .

ثم رفع كمانه وأخذ يغني بصوت عالٍ

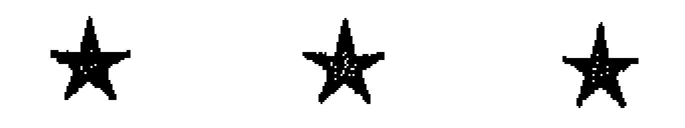
وهكذا احتضن كل منقب بلا رقعة في بنطاله منقباً آخر ذا بقعة ، فرقصوا وصخبوا وهللوا حتى اهتزت أوتاد الخيمة .

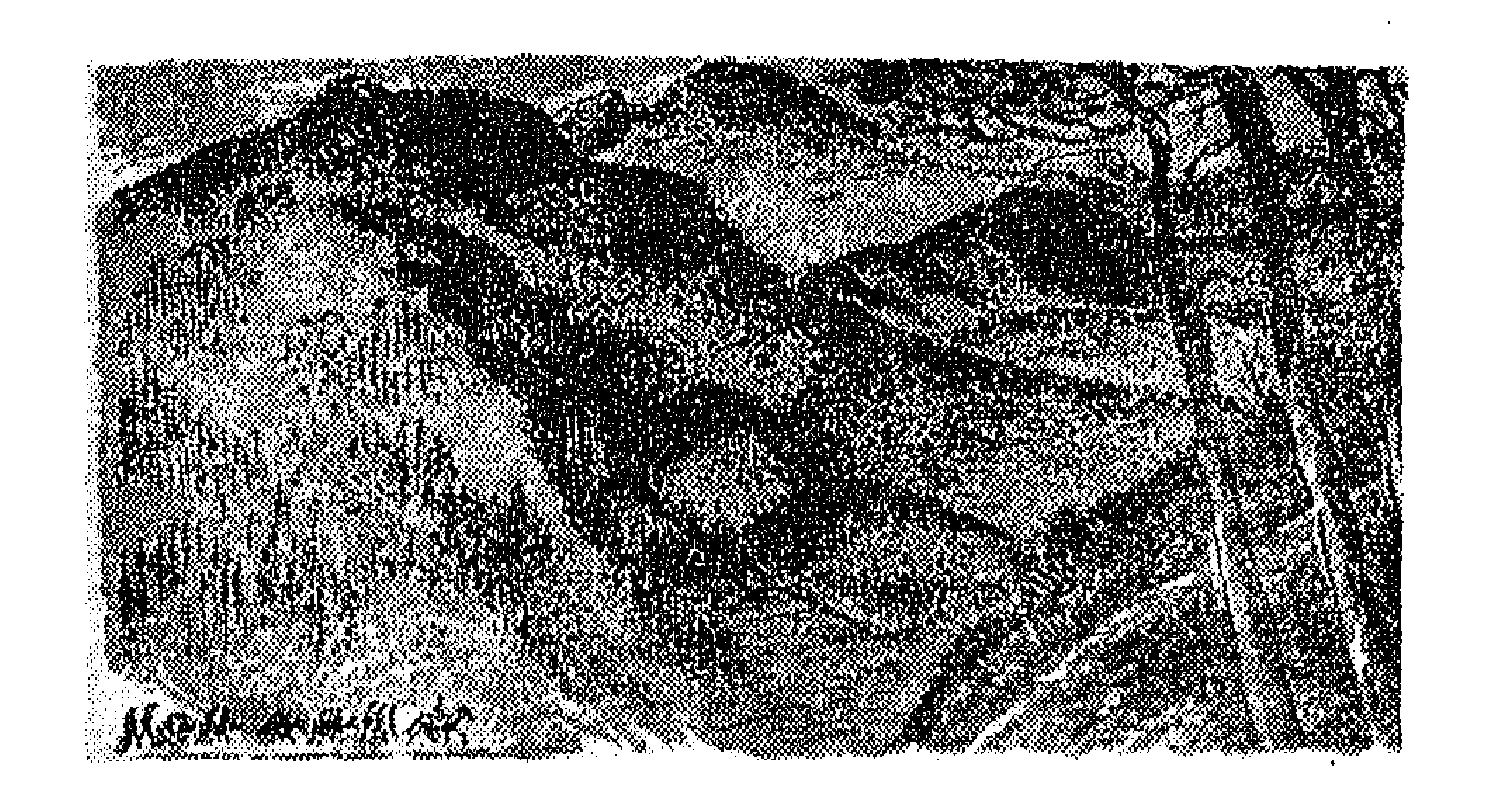
ثم ارتفع صوت صاحب الكمان قائلا : « اننا على وشك الانتهاء والرحيل . ليأخذ كل منكم بيد رفيقته البيضاء الناعمة » . فأخذ كل منهم بقبضة مرافقته الخشنة الضخمة وضمها بشدة وهو يرقص . . وفجأة أخذ أحدهم يصرخ بشدة وانفرد يقوم بقفزات وحركات رقص مدهشة في وسط الخيمة .

وعندما بزغ الفجر دخل عليهم رجل وصاح قائلا : « الى خارج الخيمة ، لقد بزغ الفجر » .

وعندها انتهى الرقص وارتدى كل منهم معطفه وبدأ يجمع أغراضه . لقد استقبل المنقبون فجر يوم الاثنين بنوره

الباهت وهم يحملون أمتعتهم ومؤونتهم بعد أن خوت جيوبهم من الذهب في الليلة السابقة • إنهم الآن في طريقهم ليحفروا مزيداً من مساحة الارض بحثا عن الذهب • وفي الخيم والاكواخ كان الدلالون والمقامرون والتجار لا يزالون يحصون ماجنوه من الذهب في يومهم الماضي ليحفظوه في خزائنهم •





١٣

كل رجل لنفسه

حوالي نهاية عام ١٨٤٩ كانت الاماكن الاكثر شهرة قد نظفت تماماً من الذهب • فأخذ المنقبون يتوغلون في المناطق الجبلية يفتشون عن مناجم أخرى •

قرر الرئيس (دوني) الذي كان سابقاً في الجيش أن يصل في تنقيبه الى مناطق أكثر ارتفاعاً • فجمع رجاله وبدأ عمله في الخريف • ومر على وادٍ صغير ذي جوانب شديدة الانحدار يعتقد أنها تحتوي على الذهب فتوقف لينقب هناك • كان يعمل في خدمته عشرة من الزنوج ورجل إرلندي وآخر

هندي وثالث من هاواي • ولذلك كان (وليم) يبتسم عندما يستمع الى رجاله يتكلمون لهجات غريبة ومتعددة من الانكليزية •

وبعد أن نصب الرجال خيامهم ، راح الرئيس يتجول في المنطقة حول المخيم حتى أتى الى بقعة كان شخص ما سبق وحفر بها • فعاد الرئيس وأعلن لرجاله ورائحة طعام العشاء تعطر جو المنطقة وقال : « سوف نمكث هنا بالضبط • تبدو لي المنطقة كبلد من الذهب » •

وفي اليوم التالي أرسل عدداً من العمال للحفر في الحصى على طول النهر ، بينما كان الآخرون يقتطعون الاخشاب ويشيدون الكابينات • لأن الشتاء كان على الابواب ، وأحس الرئيس بأنه لا وقت لديه لتموين نفسه وبناء ما يلزمه لقضاء فترة طويلة •

وحالما انتهوا من البناء ، بدأ الجميع يغربلون الحصى والرمال • لقد كان الرئيس على صواب ، إذ أثبتت أعمال التنخيل وجود الذهب هناك • وفكر الرئيس في أنهم سيتمكنون من الحصول على كميات أكبر من الذهب ، إلا أن تأمين المؤونة لمخيم دائم أصبح يشغل تفكيره •

وقد نادى الرئيس وليم العامل جيم ، أحد سكان جزر بحر الجنوب ، وطلب منه أن يذهب مع تسعة رجال آخرين الى المدينة لشراء المؤن ونقلها الى الكابينات • ثم أعطاه

الرئيس حقيبة من الذهب ليدفع ثمن الطعام وطلب منه أن يسرع في رحلته •

وهكذا اختفى جيم في دوامة الثلوج الرمادية • وعبس الرئيس بقلق وقال لنفسه : « يجب أن ندخر مالدينا من المؤن حتى يعودوا ، مع العلم أنهم قد يتأخرون بسبب العواصف الثلجية » •

ويوما بعد يوم زادت سماكة الجليد وعمقت طبقةالثلوج حتى امتنع عليهم التنقيب • وأصبح عمل الذين بقوا في الوادي قطع الاشجار لتأمين الحطب لمواقدهم • ومرت الاسابيع دون أن تظهر المؤن ، ونفذ احتياطهم من الزاد وقل نصيبهم من الطعام حتى إنهم أصبحوا أضعف من أن يستطيعوا النهوض من أسرتهم •

كان الرئيس، وهو مستلق في فراشه، يفكر في الذهب الذي أضحى مدفوناً تحت الثلج والجليد ، وفيما اذا كان سيعيش حتى يخرجه الى النور •

وذات يوم فتح الرئيس عينيه ليرى سماءً زرقاء وليسمع الثلج الذائب يجري في جدول صغير قرب كابينه • لقد كان الثلج يذوب سريعاً تحت أشعة الشمس • ثم سمع من بعيد صوتاً ينادي : « مرحباً مرحباً أيها الرئيس دوني » •

فنهض ببطء من سريره وجر نفسه الى الباب ، وعندما فتحه شاهد منظرا مدهشا : لقد كان جيم بوجه تغمره

الابتسامة يتقدم في طريقه عبر الوادي ووراءه ثلاثة دواب محملة بالمؤن • دون أن يكون هناك أي أثر للرجال التسعة الآخرين الذين ذهبوا معه ، كما لم يرهم الرئيس مطلقاً بعد ذلك • في حين كان وراء جيم عدد من المنقبين يضحكون ويصخبون ، لقد سمعوا بأخبار الذهب في وادي الرئيس دوني ! فأتوا بمعاولهم وقدورهم وعتلاتهم وبأكياس الدقيق والفاصولياء •

وفجأة أصبحت غرفة الرئيس المركز الرئيسي لمخيم دعي (دوني فيل) أو (الفوركس) كما صدق حدسهم فوجدوا الذهب هناك بكميات كبيرة •

وحوالي صيف عام ١٨٥٠ كان ذلك الحوض الصغير قد تحول الى مجموعة من الخيم والاكواخ الوسخة والحفر وأكوام القذارة والحصى •

كان جيم رجلا مخلصا لرئيسه • كان يعمل وراء الذهب في النهار ولا ينقطع الا بعض الوقت ليطهو وجبات الرئيس واحيانا يذهب ليصطاد السمك لوجبة الغداء • وذات مساء اصطاد سمكة سلمون كبيرة ، فأخذها الى الرئيس وصاح بكل فخر : « انها سمكة كبيرة أيها الرئيس • ! انها تزن أربعة عشر باونداً » •

ثم ألقى بالسمكة الطازجة في قدر يحوي ماء غرفه من

النهر . ووضع القدر على النـــار . وعندما نفقت السمكة صب جيم الماء على الارض ليأخذها ، فاذا به يعثر علـــى شرائح من الذهب تتألق في قاع القدر . وهنا جحظت عيناه وركض ليخبر عن هذا الشيء العجيب .

علّق على هذه الحادثة صديق للرئيس دوني كان قد أتى ليتناول الغداء معه فقال : « لقـــد سمعت بالوزة التي وضعت بيضات ذهبية ، ولكن لم يسبق أن سمعت بسمكة فعلت ذلك ! » .

كان الذهب يظهر بشكل مستمر في أماكن غريبـــة . ففي احدى الليالي دخل رجل الى مخيم وهو يقفز ويـــدق الارض بكعبيه ، فظنـــه الآخرون مفرطـــاً في الشـــراب . ثم تبين لهم خطأ ظنهم عندما عرفوا ان ذلك الرجـــل كان يحفر حفرة لينصب خيمة فاذا به يعثر في الحفرة على جيب من الذهب الخالص .

وعبر النهر في داغانس فلات حُفِر من الذهب ماتعادل قيمته ٨٠٠٠٠ دولار في صيف عام ١٨٥٠ ، وكان فرانك أندرسون هو أول من حفر في هذه المنطقة وخلف الآثار التي وجدها الرئيس دوني . وعندما عاد أندرسون مـــع مرافقيه الثلاثة أخذ معه من الذهب ما يعادل ١٢٩٠٠ دولار من منطقة لا تتجاوز ستين قدماً مربعاً .

لقد أصبح من المستحيل الآن استئجار الهنود أو أي عمـــال آخرين في أعمـــال التنقيب . لان المنقبين كانـــوا

قد أخذوا يهجرون من استأجرهم بسرعة ويعملون لصالحم الخاص • وهكذا أضحى الشعار الآن « كل رجل لنفسه » كما حددت حقوق الافراد في مساحات معينة من الارض في المناطق الغنية • وعلى أثر اتفاقية عامة كان يحق لأي شخص يصل الى منطقة أن ينقب في مساحة من الارض طولها اربعون قدماً وعرضهـا ستة عشر • واذا أراد أن ينتقل الى مكان آخر ، كان يبيع حقه في هذه المساحة من الارض الى قادم جديد كان يغنى منها أحياناً ، كما كان يجدها خاوية غالباً •

وراجت في المخيمات قصة تقول أن الرجال كانوا في أحد أماكن التنقيب يملؤون كؤوسهـم بالذهب يوميـاً ، ولذا دعي المكان « حفريات كؤوس التنك •» فترك بقية المنقبون أماكنهم واندفعوا الى هذا المكان فلم يجدوه خيراً من الاماكن التي تركوها •

وهكذا كان المنقب الموضعي رجـلا متنقلا • يكون يومان في مكان ما وفي الغد يصبح في مكان آخر • كان يعيش على الاثارة وتحت تأثير قصص الاماكن الاكثر ثروة وذهباً• فوصف أولئك الاشخاص الكثيرو التنقل من مكان لآخر بأنهم مصابون بحمى الكتل • لقد كان كل ما يرويدنـه الكتل الذهبية الكبيرة • ولذلك كانوا لا يستقرون في مكان حتى يسمعوا بالعثـور على كتلة ذهبيـة في مكان آخر ، فيحزمون أغراضهم ويتوجهون اليه •

وأخيرا وصـــل الصينيون الى دوني فيل • وكانوا غرباء هادئين يضحكون فيما بينهم بكل طيبة • غير أنهم كانوا ينظرون الى الاميركان بأعين لوزية ملؤها الشك • حيث انهم كانوا هم الذين يخدعونهم أويبيعونهم أماكن خاوية • كانوا يعملون بجد ويحفرون ويغربلون ويدسون بدفعات في اكمامهم الواسعة لكي يدخروهـــا الى الـــذي يعودون فيه الى وطنهم أغنياء •

وفي الجوار ، كان يوجد الكثير من المخيمات المبهجة • فهناك كانت ثروت بـــار وهودو ورانس دودلـــير حيث كان المنقبون يضجون بأغانيهم في الليل بعد أن يجففوا قدورهم على النار وينفضوا عنها الاوساخ •





١٤

الاندفاع الى البحيرة الذهبية

انتشرت قصص وأساطير الذهب في كاليفورنيا انتشار البعوض على مستنقعات نهر سان جوكوين • وقد كان بعضها حقيقيا • اذ أن الطفل بيركنز البالغ من العمر عشر سنوات فيما كان يفتش عن حجر لمقلاعه عثر على كتلة من الذهب قيمتها الف دولار • الا أنها لم تكن شيئا مذهلا فقد وجد احد المنقبين جبلا من الذهب الخالص فمات من فرط التأثر قبل ان يستطيع تفتيته الى كتل • ولذلك كان المنقبون يصدقون الكثير من القصص التي تروى عن اماكن يكثر

فيها الذهب بحيث يستطيع الفرد ان يجمعه خاليا من أي شائبة •

دخل رجل في احد الايام مخيما وهو شاحب اللون يجر نفسه جراً ، ولم يكد يصل المسرح المحلي لتلك البلدة حتى انهار أمامه فلم ينتبه له أحد اذ كان كل شخص مشغولا بعمله • وكان الى جانبه غلامان ينقبان عن الذهب في الشارع فكانا يحصلان من آن لآخر على كمية قليلة منه • وكان المنقبون يتجاهلونهما • اقترب الغلامان من الرجل وقال أحدهما : « انه مريض ، سوف أنادي أبي » •

ثم ركض ليحضر أباه الذي كان أحد الاطباء القلائل في ذلك البلد • أتى الاب حالا ، وبعد ان فحص الرجل قال انه يكاد يموت جوعا ، مع وجود جرح غريب في كعبه • فحمله المنقبون الى الفندق وهم في حيرة من امره •

مضت عدة ايام قبل ان يستطيع الرجل الكلام • ولقد بدأ يتكلم بصوت خافت ، وكان على ممرضه أن ينكب على فمه ويرهف سمعه ليفهم منه « ذهب • ذهب • ذهب • البحيرة ، انظروا في البحيرة » •

وعندما اصبح باستطاعة ذلك الرجل ان يجلس في كرسيه، اخذت غرفته تزدحم بالمنقبين الذين جلسوا على الارض واصغوا الى قصته • كان اسمه ستودارد وكان قد اتى الى كاليفورنيا عبر السهول وتاه مع صديق له عن بقية القافلة بينما كانوا يعبرون سلسلة جبال نيفادا • فأخذا يتجولان

لبضعة ايام ويعيشان على ما بقي معهمـا من زادهما القليل وعلى توت العليق وعلى ماكان يصطادانـه من آن لآخـر من سنجاب •

وذات يوم امعن الصديقان في تسلق الجبال ، حتى انهما لم يعودا يعثران على اثر لحيوان حي حولهما • كما مر عليهما وقت طويل دون ان يريا جدول ماءفاشتد عطشهما • وفجأة لاح لهما ما اعتقده ستودارد تألق مياه بين شجيرات الصنوبر الضخمة • فركض الصديقان في ذلك الاتجاه واذا ببحيرة جميلة هادئة تبرز لهما • وأضاف ستودارد : « لم نفكر في البدء الا في ارواء عطشنا ، فانحنينا نجرع الماء الصافي حتى ارتوينا • ثم لفت نظرنا منظر الماء الغرب ، ان هنـاك شيئا يتألق ويلمع في القاع •

فانحنى الرجلان وغرفا ملء أيديهما من القاع وتأملاه جيدا فاذا به ذهب أكثر منه رمالا وحصى • وهكذا جلسا يحملقان ، انها بحيرة ذهبية ، بل بحيرة من الذهب الخالص لابد أنها تضم ثروة طائلة ! وتمنى الصديقان لو يهتديان الى خارج هذه الغابة قبل أن يقفا لينظما ، حملة يغيران فيها على البحيرة •وعندما كان الليل ينشر ظلاله ويغيب الاشجـار الضخمة لتبدو الغابة نقطة سوداء ، كان الصديقان قد خلفاها وراءهما •

وفجأة اخترق الهدوءصوت ، ثم صدمت نبلـة شجرة قرب ستوادارد • انهم الهنود • وحملق الصديقان بكل حذر

وتلمسا بندقيتيهما • ثم سمعا صوت نبلة أخرى ، فأخذ صديق ستودارد يجري وهو يصرخ في الغابة • ودار ستودارد حول نفسه وولى هارباً • وفجأة أحس بشيء يصدم كعبه وتوقف برهة عندما رأى الدم يسيل منه • ثم تابع الركض وقد نسي ألمه حتى الصباح حيث كان قد أنهكه التعب فسقط ونام في أرضه • وعندما استيقظ لم ير هنوداً كما ان صديقه كان قد اختفى •

وأضاف جيم : « ولم أره ثانية ، ولا أعلم اذا كان قد مات جوعا او أن الهنود قبضوا عليه ثم أخذت أتجول في الغابة حتى وجدت الشِعب الذي قادني الى هذا المكان • هذه هي قصتي ، لقد وجدت بحيرة من الذهب •

حملق كل من المنقبين في الآخر وهز رأسه • كانــوا يكررون قصته كثيرا فيما بينهم ، الا أنهم لم يصدقوها بل ظنوه معتوها • وعندما استعاد الرجل نشاطه ثانية اتفق مع خمسة وعشرين منقبا على تأليف قافلة تقتسم ما يغنمــه من ذهب • وقرروا ان يذهبوا خلسة من غير أن يشعر بهم أحد • وعند الفجر وبينما كانوا ينسلون من المدينة ، التفت ستودارد وراءه ليرى مجموعة من المنقبين يتبعونهم • كانوا يسيرون وراءهم في اعداد كبيرة كما لو ان المخيم بكاملــه يلحق بهم •

وعندما بدؤوا يتسلقون السلاسل الجبلية المرتفعة أخذ المنقبون يسألون ستودارد عن مكان البحيرة • ثم كرروا

الى خارج المدينة .

لم يتحرك أحد من المنقبين حتى توارى الخارج على القانون عن الانظار تاركاً وراءه غيوما من الغبار . كما لم يكن أحد يعلم أين ومتى سيظهر جوكوين ثانية . فرب منقب قد خبأ ذهبه في كوخه سيسمع يوماً صوتاً سريعاً هادئا : « ارفع يديك أيها السيد . الآن إليّ بذهبك » .

وقد يظهر مع عصابته والملازم الاول جاك ذي الثلاث أصابع في إدارة مخزن أو صالون حيث يُخبأ الذهب وفي الخزانة الحديدية ويقول : « افتحوا الصندوق أيها السادة وأفرغوا ما فيه من الذهب » .

ولذلك كان جوكوين ورجاله يُطاردون في طول البلاد وعرضها بدون جدوى .

كان دخول القانون الى كاليفورنيا بطيئاً ، غير أن المدن أصبحت تدريجياً أكثر هدوءً وأماناً بظهور العائلات والعمدة ودوائر القضاء . وفي هذه الاثناء كان قد شُرع باشادة الكنائس والمدارس ، ونظمت ملكيات الافراد للقضاء على الخارجين على القانون الذين كثيراً ما كانوا يُشنقون . ولكن أين ماريتا هذا ؟ بل أين سيظهر ثانية ؟

كانت مدينة موكيلوم هِل ، أو كما دعاها المنقبون مدينة موك هِل ، تشرف على نهري موكيلوم وكالافيراس في مناطق الذهب . كانت مدينة تغلب عليها صبغة القسوة والخشونة

حيث يقتتل المنقبون في نهاية كل أسبوع عندما يتواردون اليها من الجداول والوديان المنتجة للذهب • وبالقرب من هذه المدينة كانت تقع مدينة تشانيا شاون حيث كان يعيش ألف من المنقبين الصينيين ويحاولون الابتعاد عن الوقوع في مشاكل مع بقية المنقبين الـذين استاؤوا من وجودهم فـي كاليفورنيـا •

حدث مرة في صالون زاموولت أن عدداً من المنقبين كانوا يلعبون الورق ، وكان فيهم رجل غريب يلعب بكل هدوء وقبعته تغطي قسماً من وجهه • ودار الحديث بين اللاعبين عن الخارج على القانون مارييتا • فقال أحدهم : « ليس باستطاعة أحد أن يقبض على هذا المكسيكي ، إنه رجل مراوغ جداً ، وأراهن بأنه سوف لا يُقبض عليه مطلقاً •

فضحك عالياً شاب كان يجلس الى الطاولة ويربح ، ثم قذف بكيس من الذهب على الطاولة قائلاً : « اليك برهاني على أني سوف أقتل ماربيتا ذلك اذا صادف ورأيته •

وهنا رفع ذلك الغريب الذي كان يرتدي الزي المكسيكي قبعته عن عينين سوداوين متألقتين وأمسك بمسدس في كل يد وقال : « أنا هو ماربيتا ! اقتلني اذا كنت تستطيع » •

فتسمر الجميع على مقاعدهم وانقطعت أنفاسهم ولم يأتِ أي منهم بحركةٍ • فضحك المكسيكي وقفز عن الطاولة وخرج • وما هي إلا لحظات معدودات حتى سمعوا وقـع حوافر جواده يحمله بعيدا عن المدينة •

ومن هناك مر ماربيتا عبر مخيم أنفلسن ومنه الى لوس مورتوس كريك الذي كان آهلاً بالمكسيكيين والتشيليين حيث لم يكن أحد يفهم الانكليزية الا نادرا ، وسيطرت عصابة ماربيتا على هذا المخيم طوا لسنتين دون منازع • وفي عام ١٨٥٢ زادت ولاية كاليفورنيا المكافأة لمن يقبض على أفراد هذه العصابة الى خمسة آلاف دولار ، فشرع الكشافون يطاردونه بجد •

وفي تموز من العام التالي بدا مخيم لوس مورتوس كأنه هُجر فجأة بينما كانت مجموعة من الرجال الاشداء تتقدم على طول الشارع الرئيسي للمخيم • وكان في مقدمتها الرئيس هاري لوف وخلفه عشرون من حرس الولاية • وهناك ترجل الرئيس وبدأ يستجوب المكسيكيين قائلا : « اين مابيتا ؟ متى رأيتم ماربيتا ذلك لآخر مرة ؟ » فكان جوابهم الوحيد : « إننا لا نتكلم الانكليزية » •

وهنا سأل الرئيس بالاسبانية « أين جاكوين » ولكن المكسيكيين كانوا يهزون رؤوسهم من غير جواب • وكان بين الجميع امرأة برقت عيناها لسؤال الرئيس فتقدمت منه وأخبرته بأنه من الممكن أن يكون ماربيتا في بريست فالي • وكانت هذه الامرأة هي مولينيرا الزوجة السابقة لجاكوين ، وكانت تكره العصابة •

فسار الرئيس لوف برجاله جنوباً باتجاه لوس انجلوس

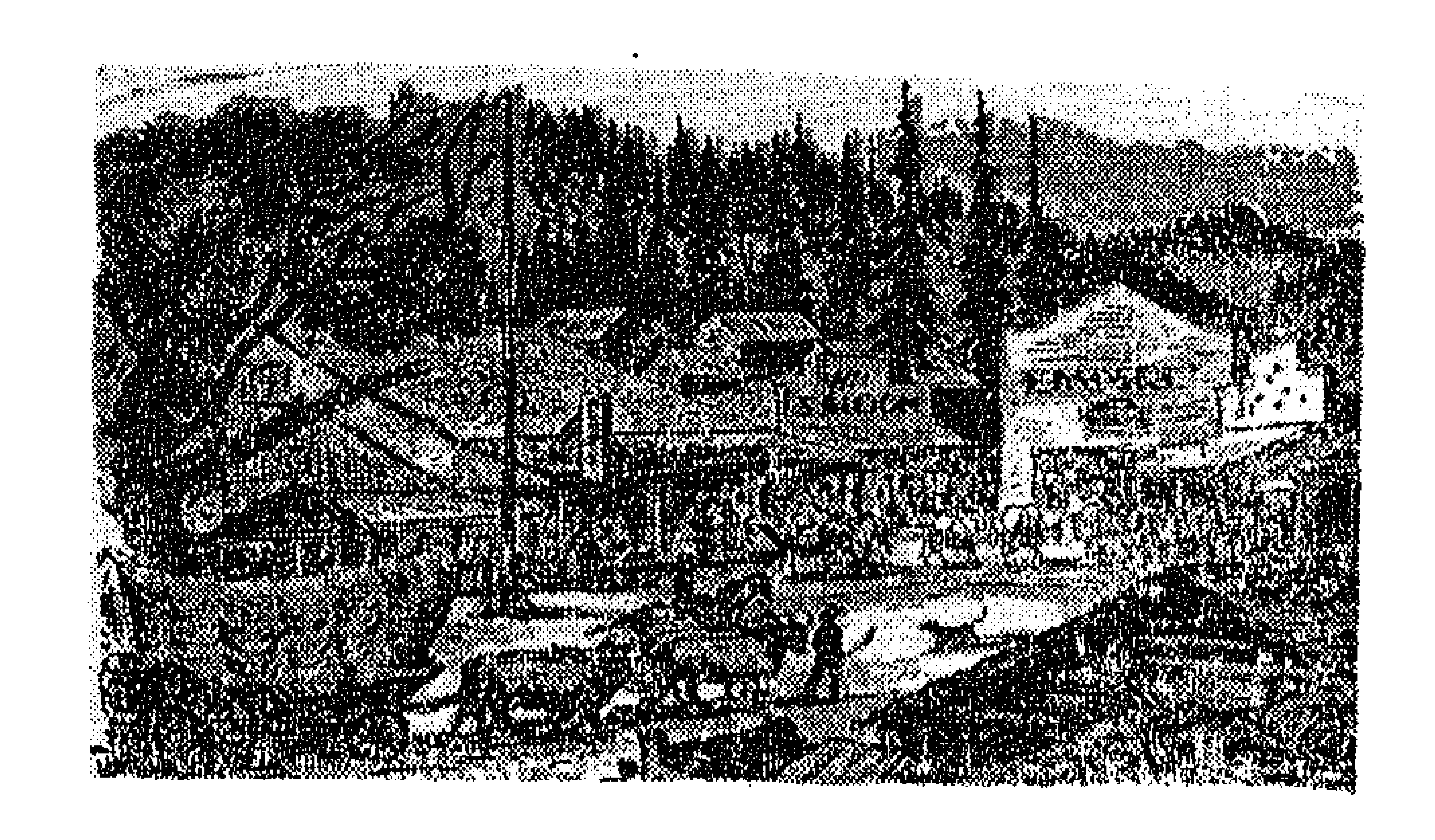
خادعاً بذلك جواسيس جاكوين وعندما حل الظلام عاد مع رجاله الى حيث يمكنهم أن يجدوا جاكوين كما قالت تلك المـرأة .

وعندما وصلوا المكان رأوا أضواء نيران مخيم العصابة، وسمعوا فيه ضحكاً وغناءً بالاسبانية . فأخذ الرئيس لوف ورجاله يزحفون مقتربين من المخيم حتى استطاع الرئيس أن يتبين ملامح جاك ذي الثلاث أصابع على ضـوء المصباح المتأرجح . ثم تقدم الرجال الى مسافة أقرب وأطبقوا على العصابة بنيران بندقياتهم في حين ظل الرئيس لوف يراقب جاك ثم تبعه عندما اندفع ليحتمي بجذع شجرة باسقة . وقبل ان يستطيع ذلك اللص أن يطلق النار عاجله لوف برصاصة قاتلـة .

واندفع جاكوين الى جواده مطلقا عنانه للريح الى خارج الوادي ومن غير سرج كما يفعل الهنود . إلا أن أحد الحرس شاهده وأطلق عليه النار ، فخر الجواد أرضاً بينمـا ولى الخارج على القانون هاربا باتجاه الغابة . وهنا أطلق أندرسون طلقة ثانية صرع بها أشهر لص في بلد الذهب .

كان القانون يدخل بلد الذهب ، يدخلها عبر العائلات والعمدة وعلى فوهات المسدسات . وبذلك قضي على كثير من العصابات في الغابات وبين الجبال . اذ ظهر بعد جاكوين

راتل سنيك ديك وبلاك بارت إلا أن جاكوين كان أشدهم رهبة حتى ألفت الاغاني عنه . فكان المنقبون يغنونها وهم جالسون حول نار المخيم ضاربين على قدور التنك بالسكاكين والملاعق ويرددون : « جوكوين مارديينا ، رئيس العصابة » .



١٧
هانغ تاون

كانت قافلة أخرى من العربات تشق طريقها عبر بليسرفيل أحد ركابها ينشد أغنيــة : « أيهــا الوطن ، أيهــا الوطن الجميل ، لا يوجد مكان مثل الوطن » • فابتسم شاب لسماع هذه الاغنية ولوح بيده مودعاً رفاق طريقه الطويل نحــو الغرب • ثم مشى جاهداً داخل المدينة الصغيرة حيث كان المنقبون يتجمعون • ومنها يتفرقون بعد أن يكونوا قــد وصلوا الى المكان المنشود •

كان ذلك الشاب (ستوديبيكر) البالغ مع العمر تسعة

عشر عاما ، ذا عينين زرقاوين ، وشكل يعبر عن القوة بخاصة وأن حمى الذهب تسري في عظامه . كان قد أتى من ساوث بند ، من انـديانا ، غير أن دماء بنسلفانيا تجـري في عروقـه وخلال نبرات صوته . كانت يداه كبيرتين خشنتين من أثر استعمال أدوات النجارة . لقد دفع هذا الشاب كل ماتملكه يداه حتى قطع كل هذه المسافات في رحلته هذه في عـام ١٨٥٣ ، ولم يبق في جيبه الا خمسون سنتاً .

وبالرغم من أن الاسم الحقيقي لهذه البلدة كان بليسرفيل ، إلا أن كل شخص كـان يدعوها هانـغ تاون . كـانت عبارة عن مكان صاخب ذي خيم وأكواخ مبعثرة على طول وادٍ بجانب جدول متدفق المياه ، كما كانت تمتد أيضاً على نفس الطريق المؤدي الى كولوما . وكان شارعها الرئيسي دائم الازدحام بالعربات . أما يومها المفضل فكان يوم وصول عربة السفر العمومية .

سافر (جون ستوديبيكر) يطلب الذهب ، دون أن يكون لديه أي معول أو قدر أو هزاز أو أي مال ليشتريها . أخذ يجول بناظره مفتشاً عن عمل فمر على حانوت حداد . كان عبارة عن غرفة واسعة نصفها مخزن والقسم الآخـر مكان للسكن . وكان داخل الدكان رجل يعمل بمطرقته وينظر من آن لآخر الى الادوات المكسورة التي هي بحاجة الى تصليح . أخذ هذا الشاب يتمشى بجوار الدكان ، وفجأة استدار الحداد وناداه قائلا : « أيها الفتى إن نظراتك تعبر عن شيء .

أنجار أنت أم حداد ؟ » • فابتسم الشاب وأسند كتفه العريض الى الباب وأجاب : «قد يكون هذا » • فسأله الحداد : «وهل تستطيع تصليح العربات» ؟ فأجاب : « يمكن » • فتابع الحداد : « وهل يمكنك إصلاح الأكس لعربة السفر العمومية ووضع قبضات المعاول وتحدي الدواب والخيل؟ » • فكرر الفتى : « من الممكن » • فأضاف الحداد : «وهل يمكنك أن تصنع عربة يد بعجلة واحدة » • فقال الفتى : « طبعاً » وهنا أجاب الحداد : « اذن حصلت على عمل • ادخل حالاً ، أنا اسمي هنذر » •

وهكذا ابتدأ جون العمل • وعاش مع رئيسه في القسم الآخر من الدكان الكبيرة • كان كل مالديهما من أثاث مقعدين ومدفأة وعدة براميل فارغة تستعمل كطاولة وكراسي • بدأ يقضي كل ساعات عمله في اصلاح العربات • ثم أخذ يصنع الكرّاجات (عربات ذات عجلة واحدة تدفع باليدين) • كانت محاولته الاولى بدائية ، دعت هندر الى الضحك عليه • ولكن سرعان ما تحسن عمل (ستود بيكر) وأعجب به المنقبون فدعوه « جون صانع الكرّاجات » ، واشتروا منه كل ما كان يصنع منها •

وبذلك لم يعد جون يشعر بأنه غريب في هانغ تاون • وفيما كان يتجول في البلدة مرّ على حانوت اللحام (فيليب أرمور) الذي أتى بطلب الذهب أيضا ، ثم عدل عن فكرته وشرع يطلب عملا آخر • وتوقف جون طويلا يراقب رجلا

طويلا نحيلا يدعى (مارك هوبكنز) الذي كان قد أحضر عربته من ساكراماتنو وهي محملة بالخضر الطرية ليبيعها في احدى منعطفات هانغ تاون . كان هوبكنز شريكا لها نغتنغتون صاحب المخزن في ساكرامنتو ، كما أنه زرع خضاراً في حديقته بالقرب من الجدول ، فكان محصولها عظيماً . لذلك كان يبيع ما يفيض عن حاجته في هانغ تاون حيث كان يجد لها سوقاً جيدة وبخاصة وأن المنقبين كانوا يجوبون تلك البلدة وهم يتشوقون لشراء أي شيء آخر الى جانب الفاصوليا المكسيكية واللحم المجفف والخبز المشوي . وهكذا كانوا يدفعون غالياً ثمن البندورة واللفت واليقطين وما الى هنالك من الخضروات التي كان هوبكنز يبيعهم إياها .

وفي احدى الليالي تمدد (ستود بيكر) على مقعده وسأله رئيسه : « لماذا يسمون هذا المكان بهانغ تاون ؟ » فقال الرئيس « حقا ، إنها قصة يا صاحبي . وكان بل ديلور وبيري ميكون) يملكان مزرعة بالقرب من كولوما قبل اكتشاف الذهب . وبعد أن التقط مارشال تلك القطع من الخندق ، ذهب هذان الرجلان الى التنقيب ومعهما بعض الهنود . فوجدوا الكثير من الذهب في الوادي الذي أطلقا عليه اسم (ألد داري ديكنكز) .

وقد استخرجوا في اسبوع واحد من الذهب ماقيمته ١٧ألف دولار . وهكذا اندفع اليهما المنقبون جماعات جماعات . وفي عام ١٨٥٠ استخرج من الذهب ما يعادل خمسين مليونا

من الدولارات من هذه النواحي •

وهنا عاد جون وسأل : « ولكن ما مناسبة الاسم » ؟
فأجاب الحداد : « إنه الاغتصاب والسلب الدائمين اللذين سادا تلك المنطقة • ففي عام ١٨٤٩ كان في الجوار عصابة من قطاع الطرق يسلبون المنقبين ذهبهم • وقد أطلقوا على أنفسهم اسم« الأولز » أي (البوم) • وكما تعلم كانت هذه المنطقة تابعة للمكسيك حتى ١٨٤٦ ، ثم أصبحت تتبع الولايات المتحدة حتى عام ١٨٥٠ • ولم يكن هناك أي قانون، حتى إن المكسيكيين وحدهم لم يكونوا بحاجة لكثير من القوانين • وهكذا حصل توارد المنقبين الى المنطقة قبل ظهور القانون • وبذلك كان على المنقبين أنفسهم أن يسنوا القوانين الخاصة بهم • وقد نصت تلك القوانين على أن الرجل الذي يقترف جريمة صغيرة يطرد الى خارج البلدة أو يجلد ٣٩ جلدة بسوط غليظ على ظهره العاري ، كما أن الرجل يشنق اذا سرق حصانا أو دابة أو سرق ذهب غيره أو قتل أخاه الانسان •

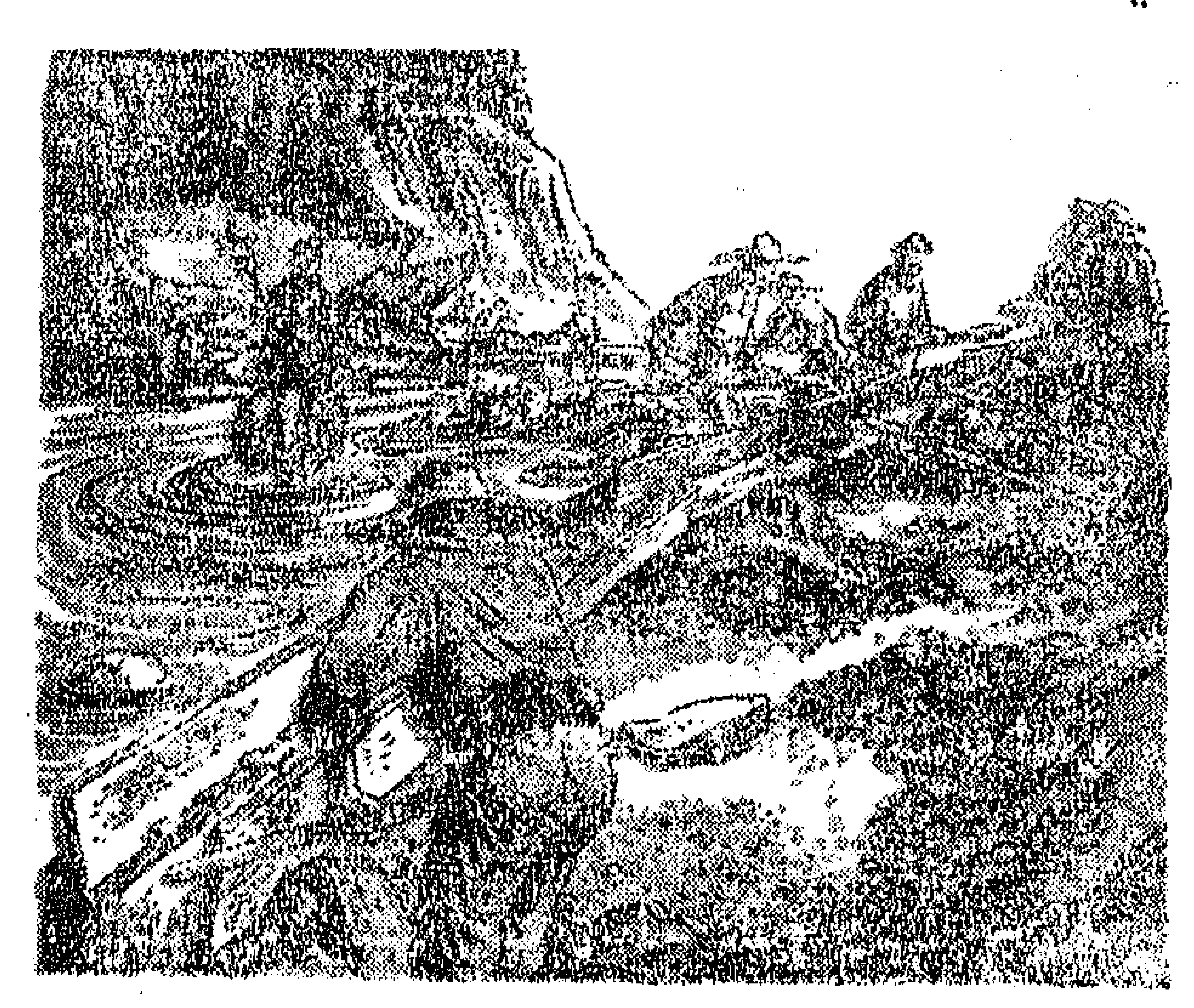
وحدث أن سطا أولئك « الأولز » وسرقوا مخزن رجل افرنسي يدعى (كيلد) عند نهاية الطريق ، وأخذوا خمسين أوقية من الذهب • وفي اليوم التالي قبض على ثلاثة منهم وشنقوا على شجرة البلوط تلك عند المنعطف بين شارعي مان وكولوما • وفيما بعد ألف المنقبون محاكم لمحاكمة الاشقياء مثل (إيريش ديك وكرون) وغيرهما • وهكذا

وبالرغم من أن مدير البريد هنا يقول إن الاسم الحقيقي لهذه البلدة هو بليسر فيل ، غير أن الجميع يدعونها هانغ تاون (أي مدينة الشنق) • وهكذا أصبح قطاع الطرق يتجنبون هذه المدينة كأنها ملأى بالأفاعي ذوات الاجراس • وها نحن يا جون نعيش في هذا البلد آمنين بفضل أخلاقنا الوديعة طالما أنه ليس لدينا قوانين أخرى » •

وهنا قال (ستودبيكر) ببطء : « أظن أني سأذهب للتنقيب عن الذهب عندما أحصل على المال الكافي لشراء العدة اللازمة لذلك » • فقال الحداد : « إذهب وعندما تمل العمل هناك وتتعب عد إليّ ثانية فلدي عمل جيد بانتظارك • إنني لم أشعر بقسط من الراحة مثلما شعرت وأنت الى جانبي •

وعاد جون وسأل : « ماهو الراسب الثمين ؟ وماذا يعني ذلك الكلام الذي سمعته هنا وهناك في البلدة في صالون الجولدن ناجت goldeu Nugget) وعن شيء آخر أجهله يدعى «الاخدود الكبير» فأجاب الرئيس : « الراسب الثمين يعني تلك الطبقة الطينية على سطح الارض والتي تحتوي على الذهب • والاخدود الكبير عبارة عن أخدود خشبي لتصريف الماء يبلغ طوله أحياناً بضعة مئات الاقدام • إنه حوض منحدر ضيق وطويل يترسب في قعره الطين وتتوقف المياه منه على الطبقة العليا من الطين • كما يحتوي ذلك الاخدود على قبضات خشبية كالهزاز • ولقد سمعت

مؤخراً بأن بعض الافراد يقومون باضافة الزئبق في الاخدود ليلتحم بالذهب • ولهذه الغاية أتى رجل واشترى تلال كولومل التي تحتوي على الزئبق •



ثم اشترى جون معداته وما يلزمه من ادوات الطهي وهزازه وذهب ينقب مع بقية الرجال • وهناك كان يأتي اليهم منقبون جدد يوما بعد يوم قادمون بطريق البر أو بطريق ساكرامانتو ريفر من سان فرانسيسكو •

وبينما كان ستود بيكر يترك البلدة مر بعدد من العربات الواقفة لقضاء الليل • كان هناك عدد من النساء يتحدثن حول النار • وكانت احداهن تقول : « لو أنكن رأيتن الجبنة العظيمة التي كنت أصنعها هناك في أوهيو ! » • وقالت امرأة

أخرى بمباهاة : « وفطائر الراوند وجيليت الخوخ التي كنت أصنعها كانت حديث البلد في ميبيني» • وانضم لهن نساء أخريات وقالت احداهن : « ينقصكن أن ترين المغربية التي كنت أصنعها على شكل الاقحوان في أنديانا • ولكن ولكن بلوزاتي الصوفية•••»وقطعت الحديث فتاة طويلة نحيفة قد تبعثر شعرها على وجهها الذي حرقته الشمس وهي تتكيء الى جذع شجرة بالقرب منهن وقالت : « لاتهمني الجبنة أو الفطائر أو ما يشبه هذه الاشياء الاميركية • انني من مقاطعة بايك من ميزوري ، ويمكنني أن ألعب الورق وأقطع الاخشاب وأقتل دبا » • ثم وضعت هذه المرأة بندقيتها تحت أبطهـا وتناولت قدرها وابتعدت متجهة لأقرب الحفريات •

لم يستمر « جون ستودبيكر » في التنقيب عن الذهب طويلا • اذ وجد أن هذا العمل من أصعب الاعمال التي قام بها وأقلها مردوداً • فقفل راجعاً الى هانغ تاون الى عمله السابق • وبعد أن ادخر الذهب الذي أخذه من المنقبين عاد الى ساوث بند في انديانا وساعد في تأسيس مصنع للعربات ومن ثم للسيارات • شأنه في ذلك شأن مارك هوبكنز الذي أصبح واحـدا من المؤسسين لاتحاد الخطوط الحديدية في الباسيفيك ، وفيليب أرمور ، اللحام ، الذي بدأ بمشروع لتعليب اللحوم فـي شيكاغو بعد أن حصل على ثروته في كاليفورنيا • ولكنه لم يحصل على تلك الثروة بحفر الارض بمعول ورفش •



١٨

اغنية ورقصة

كان المنقبون ينشدون اغنية جميلة في عام ١٨٥٢ • وكانت تلك الايام السعيدة التي يتحدثون عنها في أغنيتهم تعود الى عام ١٨٤٩ • اذ أخذت المدن بعد هـذا التاريـخ (١٨٤٩) تتحضر ، وبدأت النسوة والاطفال يدخلونها ببطء• كما ابتدأت المدارس والكنائس والمحاكم القانونية تنتشر في تلك المدن • ومع ذلك كان المنقبون لايزالون يتواردون من كل صوب •

وكما دخل المنقبون تلك المنطقة بمعاولهم ورفوشهم ، دخلها الفنانون من ممثلين وموسيقيين وراقصين بآلات طربهم ولهوهم • فقد كانت قصص الذهب تنتشر بسرعة على شفاه المنقبين المتحمسين وتنهمر على مسامع أولئك الفنانين • وهكذا كان رجال المسارح يتركون قوارب العرض في الميسيسبي ليذهبوا غرباً الى بلاد الذهب • وبذلك هجرت مسارح أروبا ونيويورك وفيلادلفيا ونيواورليانزوبوسطن• هجر الفنانون مسارحهم وأتوا عبر السهول في عربات ذات شوادر حاملين معهم آلاتهم الموسيقية ـ والكمان خاصة ـ وحقائب ملابسهم عبر مستنقعات باناما الموحلة •

وفي وادي غراس أتى اليوم الذي ستصل فيه الحورية لولا مونتيز ، ذلك اليوم الذي تكلموا عنه كثيراً • وخرجت البلدة كلها لملاقاةهذهالراقصة • ولولا هي الاميرة(لاندزفلت) التي تركت أوروبا على أثر ثورة قيل إنها كانت تقوم بدور الجاسوسة • ومن ثم بدأت ترقص في مخيماتالمنقبين • وقال بعض الرجال في وادي غراس إنهم لم يروا قط أجمل من رقصة العنكبوت التي ترقصها •

ومن بين أولئك الذين كانوا يترقبون وصول لولا فتاة صغيرة تبدو في الرابعة من عمرها في حين إن سنها الحقيقية كانت السادسة • وكانت عيناها المتألقتان تحت خصلة من الشعر الاحمر تجوبان الطريق بكل

تأثر . وفجأة سمعت الفتاة وقـع حوافر حصان يتقـدم بسرعة هائلة .

وهكذا دخلت المدينة أجمل امرأة رأتها تلك الفتـاة في حياتها . كانت ترتدي ثوباً من المخمل الاسود تعلوه ياقـة بيضاء حول عنقها ، وقبعة بلون الخوخ تترنح على رأسها . نزلت لولا عن جوادها وأخذت تلوح بسوطها الصغير وتحيي الجمهورية بابتسامة مشرقة . وكان رجل طويل القامة يركب جواده ويسير به ببطء وراء لولا . كان ينظر الى الجمهور بوجه عابس ويتبع بكل هدوء لولا المثيرة الى داخل البيت . وبينما كانا يهمان بالدخول اذا بلولا تلمح تلك الفتاة الصغيرة ذات الشعر الاحمـر والعينين السوداوين ، فصاحت بلكنة اسبانية خفيفة كان لها أثرها دوما في الجمهور : « آه ، يا لها من فتاة جميلة صغيرة ! من هي ؟ » فأجابت الفتاة بخجل : « لوتا كراب تري » . وأطرقت برأسها الى الاسفل . فقالت لولا : « تعالي الى بيتي يالوتا ، انك جميلة ، جميلة » .

عندما جلست لوتا على كرسيها حول المائدة الكبيرة في بيت والدتها الخشبي حيث اعتاد المنقبون أن يتناولوا الطعام ، أخذت تفكر في تلك الحسناء ، في الوقت الذي كان المنقبون يتكلمون فيه عنها أيضاً . فقال أحدهم : « هل تعلمون ان لولا مونتيز قد أتت لتسكن في وادي غراس ؟ ولقد اشترت فعلا كوخا عند ذلك المنعطف تماماً » . لقد رأيتها تدخل البلدة بعد أن خرجت من عربة السفر ثم ركبت حصانها مسرعة تسابق

الريح وتصرخ : « هو ، هو هو » كعادتها للتأثير في الجمهور .
هل رأيتم زوجها ؟ لو كنت مكانه لكرهت اللحاق بها من مكان الى آخر . إن اسمها الحقيقي ليس بمونتيز ولا بلولا أيضا ، إنها إليزا جيلبرت من إيرلندا . وإنها لأميرة .

وعندما نظرت السيدة كراب ثري الى لوتا ، كانت متأثرة تأثرا اذ فاق تأثرها عندما ترك والدهما نيويورك ولحق بالمنقبين عن الذهب . وزاد تأثرها عندما أبحرت هي ولوتا الى باناما ، أو عندما وصلا الى سان فرانسيسكو ووطئت أقدامهما تلك المناطق الغربية . وكان والد لوتا في مناطق التنقيب . ولم يوفق ، فقامت زوجته بتقديم الطعام للمنقبين في بيتها .

وفي اليوم التالي إنسلت لوتا وركضت الى بيت لولا وظلت بجانب السياج حتى خرجت منه لولا الجميلة ذات العينين الزرقاوين والشعر الاسود الغامق ومعها كلب وهرة وببغاء كبيرة بيضاء . وعندما رأت الطفلة لوتا ابتسمت لها ودعتها لتدخل الى باحة البيت . فاقتربت الطفلة خجلة بطيئة الخطو ، ولكنها سرعان ما تغلبت على خجلها مع تلك الفنانة الصدوق .

ويوماً بعد يوم أخذت لوتا تصبح المرافقة الدائمة للأميرة الشهيرة . كانتا تركبان الجواد معا عبر التلال وتتمتعان بمشاهدة السلاسل الجبلية المرتفعة ، وتلاحظان باهتمام المقيمين الجدد وهم يزرعون الحقول بالقمح والحدائق بالفواكه .

كانتا تترجلان عن جوادهما وتتنزهان بين المروج الخضرحيث تنتشر الزهور المتفتحة .

كما كانت لولا تعلم الطفلةلوتاخطوات الرقص . فوجدت فيها تلميذة ذات كفاءة فائقـة ، اذ سرعـان ما ألتقطت بعض الرقصات الاسبانية وبعض السماح حالا .الا أنهـا كانت تبتهج كل الابتهاج بالتمايل والهز . كانت عندما ترقص هـذا النوع من الرقصـات تنسجم كل الانسجام مـع الموسيقى فتضحك عالياً .

وبين فترة وأخرى كانت لولا تختفي وراء سلسلةمن الرحلات الى المخيمات المختلفة في المدن لترقص وتعود بأكياس الذهب. كانت أفضل رقصاتها رقصة العنكبوت والتي في نهايتها كانت لولا تلقي بالعناكب المطاطية من صنع الهند على الجمهور . وقد لاكت الألس بعض الاقاويل عن هذه الراقصة أغضبت لوتا . منها تحدّيها لمحرر صحفي في سان فرانسيسكو الى نزال بينهما . غير أنه لم يوافق . ومنها دهست رجـلاً منذ قريب . ومنها ما تناول طريقة معاملتها لزوجها وكيف أنه ما من شخص يستحسن تلك الطريقة . خاصة وأنها طردته خارج المنزل لأنه أطلق النار على الدب الذي كانت تربيه بعد أن عضّه ذلك الدب .

غير أن نساء وادي غراس أحببن لولا . فلقد كانت عطوفاً وصدوقاً لهن جميعاً . كما أنها ارتدت نفس المـلابس التي كن يرتدينها . ولم تكن تتصرف إلا بما يليق بمركزها كأميرة .

إذ كانت تقيم في عيد الميلاد حفلة لأطفال البلدة توزع عليهم فيها الهدايا من الملبوسات الجديدة التي تكون قد أحضرتها خصيصاً لتلك المناسبة من مؤسسة الحياكة •

وذات يوم حزنت لوتا حزناً شديداً وبكت عندما عادت لولا من مارسفيل مسرعة وأخبرتها بالقصة التالية : « ذهبتُ لأرقص رقصة العنكبوت ، الا أن أولئك المنقبين هناك لم يرغبوا في أن يروني ، حتى إنهم رموني بالبيض • ولكني رغم ذلك تابعت الرقص فأخذوا يولولون ويطلقون عيارات مسدساتهم • سوف أترك هذا المكان الى أوستراليا » •

عادت لوتا الصغيرة الحزينة الى البيت لتسمع الخبر الأشد هولاً • إذ أخبرتها والدتها بأن أباها قد أرسل يطلبها • وهكذا ودعت لوتا الحسناء لولا والدموع تتساقط على خديها • ثم سافرت مع والدتها بعربة المسافرين ، ومنها على ظهر الدواب عبر الجبال الشديدة الانحدار حتى بلغت رايت كريك •

كان هناك عدد قليل من مخيمات المنقبين التي يصعب الوصول اليها كمخيم رايت كريك الذي كان يقع على مصطبة صغيرة تحت ظلال جبل وارف • وما أن استقرت عائلة كراب تري هناك حتى وجدت الأم نفسها مضطرة لاطعام المنقبين مرة ثانية •

وبعد وصولهم الى ذلك المخيم بزمن قصير كانت الحسناء لولا تتسلق المنحدرات في طريقها اليهم • لقد جاءت فعلا

لتأخذ لوتا معها الى أوستراليا • غير ان الأم أصرت على الرقص •



على الرغم من أنها أدركت أن طفلتها تتمتع بموهبة الرقص • حيث إن لوتا ثابرت طيلةالوقت علىالغناءوالرقص • وحدث أن كان هناك مارت تايلور الممثل القديم الذي قام ببناء مسرح الى جانب المخزن والصالون اللذين يملكهما • ولم يمض وقت طويل على ذلك المسرح حتى كانت لوتا تتمايل راقصة عليه لتنهمر عليها الكتل الذهبية والدولارات المكسيكية •

وكانت السيدة كراب تري رغم جمودها مغتبطة بابنتها • ولذلك لم تمانع في ذهاب ابنتها في رحلة مع مارت تايلورفوق

انها علمتها عدداً من الاغنيات ، كل هذا دون أن تخبر زوجها بذهابهما لأنه نادرا ماكان يأتي اليهما .

أحرزت الطفلة الصغيرة الظريفة نجاحاً باهراً في آخر حفلة لها في رابت هل° . إذ قدمت رقصة ايرلندية وهي ترتدي حلة خضراء وسروالاً قصيراً تعلوه سترة . وعلى ضوء الشموع الموضوعة في القوارير الفارغة أخذت لوتا ترقص بوجه مشرق باسم وشعرها مسرح الى الخلف يتراقص على كتفيها، فامتلأ المنقبون حبوراً وعلا هتافهم ورشقوها بالذهب . كما بكوا عندما غنت أغنية : « كيف يمكنني أن أتركك » ، بكوا لذكرى أوطانهم وأمهاتهم . وعند نهاية الحفلة كان على السيدة كراب أن تلتقط الذهب من المسرح وتضعه في سلة .

كانت رحلتهم عبر مخيمات المنقبين شاقة وقاسية . حتى اضطر أفراد الفرقة الى أن يربطوا دوابهم الى بعضها وهم يصعدون ويهبطون السفوح الشديدة الانحدار، والتي ملأت لوتا الصغيرة رعباً حتى أنها وأمها كثيراً ما كانتا تغمضان أعينهما وأحياناً كانتا تتسمران على الارض لتتجنبا رصاص المنقبين وقد حصل بينهم قتال مفاجيء .

رقصت لوتا في هانغ تاون ومارسفيل وتشاينيز كامب (مخيم الصينيين) وفي مخيمات هورنيتوس والماريبوزا وستوكتون وساكرامنتو وسان فرانسيسكو وداونيفيل . وفي كل هذه المخيمات كانت لوتا محبوبة المنقبين الذين كانوا

يقطعون الأميال سيراً على أقدامهم حتى المدينة لكي يروها.

وعندما قل مردود الحفريات ، كانت لوتا لاتزال نجمة المسارح المفضلة في المدن .وعلى صغرها ذاع صيتها في طول البلاد وعرضها ، لقد أصبحت معروفة من الساحل الى الساحل . وكان من يعود من المنقبين الى الوطن يتكلم عنها ... تلك التي تسللت الى أفئدتهم بأغانيها وأنستهم وحشتهم وملأتهم حبوراً وضحكاً برقصها . ولم ينس المنقبون طوال حياتهم تلك الصغيرة بخصلات شعرها الأحمر ووجهها الباسم الذي يطفح حيوية ونشاطاً وهي تتمايل وتتلوى .



١٩

الحلم الذهبي

بعد عام ١٨٥٤ بدأ الذهب يقل من الطبقة السطحية من أراضي تلك المنطقة • غير أن المثارين بحمى الذهب كانوا لا يزالون يتهافتون على كاليفورنيا ، يلقون في طريقهم عدداً يماثلهم من العائدين منها • إذ لم يعد ما يستخرجه المنقب من الذهب يغطي نفقات معيشته مع هبوط أسعاره • وهكذا بدأ استخراج الذهب يأخذ شكلاً عظيماً ومختلفاً آنذاك •

أخذ المهندسون يستعملون آلات الحفر لينزلوا عميقاً في

الصخر • وأصبح المنقبون يعملون مستخدماً ليغوصوا تحت
سطح الارض • فكان أغلبهم يترك هذا العمل الجديدليتنقل
الى مزرعة أو الى المدينة أو يعود أدراجه شرقاً من حيثأتى •

كما امتهن الكثير من المنقبين أعمالاً أخرى وأصبحوا
مواطنين في كاليفورنيا • فزاد عدد سكان كاليفورنيا في عشرة
أعوام من ١٥ ألف الى مايقارب ٤٠٠ ألف مواطن • غير أن
بضع مئات منهم فقط جمعوا ثروات من الذهب • أماالآخرون
فقد استفادوا من حقول القمح الذهبية ، أو من الذهب الذي
كان ينتقل بسرعة من جيوب المنقبين الى جيوب المحامين
وأصحاب البنوك وأصحاب المخازن والعقارات •

لقد جعل الاندفاع الى الذهب من سان فرانسيسكو
مدينة من المدن الهامة في العالم • فاستقرت وأخذت عربات
المسافرين طراز ولس وفارغو تجوب الطرق الوعرة فيما بين
مخيمات المنقبين • ومن ثم أقيم اتحاد الخطوط الحديدية
للباسفيك من قبل ستانفورد وما تتنفتون وهوبكنز وكروكر
لربط الشرق بالغرب •

مات الشيخ العجوز جون سوتر وهو يحاول الوصول
الى حل عادل لقضيته • مات في واشنطن وهو لا يزال يحاول
أن يصل بمطاليبه الى آذان حكومة الولايات المتحدة • لقد
كان الذهب بالنسبة له « طباً رديئاً » كما كان كذلك بالنسبة
للهنود أيضاً • إن استأجرهم البيض ودمروهم بالمشروبات
وطردوهم من غاباتهم وجداولهم •

وكذلك كان الأمر بالنسبة لجيمس مارشال إذ يستطيع استخراج ما يسد حاجته لقد ظل اول من كشف الذهب هنا لسنوات عديدة يعيش في كوخ على مقربة من موقع المنشرة في كولوما • كما ظل يحفر وينقب عن الذهب ، فكان في واد وحظه في واد • ثم عاش نهاية عمره عجوزاً غريباً يحلم بالذهب ، يفتقر الى الغنى •

كان أصحاب الشهرة يرحلون الى حقول الذهب ، ومنهم (هوراس غريلي) محرر صحيفة نيويورك تربيون •

ومارك توين الذي كتب فيما بعـد « هكلبري فن » ذهب الى كاليفورنيا بعد الحرب الاهلية بزمن قصير وعاش في كوخ صغير على تلة جاكس هِل • كان هذا في الوقت الذي بدأ فيه الناس يهجرون المخيمات والمدن الصغيرة الى الانفاق فيما تحت الارض في كاليفورنيا • حيث كانت الآلات تنفذ عميقاً الى صميم الصخر لاستخراج الذهب • كما كانت آنذاك المطاحن قد أقيمت لسحق المعدن الخام ، والسدود والاقنية المائية لادارة الطواحين تغير شكل أحواض الانهر •

وفي مخيم أنجلس سمع مارك توين النكتة التي أصبحت قصته المشهورة « الضفدعة المهاجرة من بلاد كالا فيراس » • فبهذه الحكاية الملفقة أضحك مارك توين العالم بأسره •

ودوّن بايارد تايلور مغامراته في حقول الذهب في كتاب سمّاه « إلدورادو » أو « مروج الذهب » •

وعلى المصاطب خلف الاعمدة الخشبية التي كانت تربط اليها الخيول والدواب منذ زمن قريب ، جلس الشيوخ في ذكرى الماضي يتبادلون الحكايات الملفقة . فقال أحدهم : « أتذكرون الرحلة حول رأس هورن ؟ عندما أيقنا جميعاً بأن السفينة ستغرق الى القاع ؟ » .

وأضاف آخر : « وأعصارات باناما ، وأصوات الببغاء في الغابة ؟ » وتابع آخر : « أتذكرون الفتيان يهبطون سلاسل الجبال وقد أنهكهم الجوع وحمى الذهب في عظامهم الأليمة ؟ » .

أجابه أحدهم : « طبعاً أذكر . والمقامرون في الخيم ؟ وقطاع الطرق يرددون جوكوين مارييتا ؟ وراتل سنيكدِك ؟ وكذلك أعضاء الفرق المسرحية وهم على خيولهم ؟ لقد شاهدت مرة ايدوين بوث ، هناك في مخيم أنجلس ، ولولا مونتيز وهي ترقص رقصة العنكبوت وتملأ ثيابها ذهباً . لقد كان هناك أيضا لوتا الصغيرة ذات القبعة كالجزرة . أتدري ، يُقال أنها أصبحت نجمة الساحل الشرقي في هذه الايام » .

وسأل أحدهم : « هل سبق أن ذهبتم الى هورنيتوس الى أراضي الكولونيل فريمونت ؟ لقد كنتُ هناك بنفسي ولم أخرج منها إلا بعدما أن أحضر قوات الولاية . لقد كان غنياً ولكنه لم يستطع المحافظة على غناه » . وهنا قال آخر كان يجلس بقربه : « وهل تذكرون المخيمات على كثرتها مثل غث أب أنذغث ، ويوبث وغوسبل غالتش ، وغراوند هوكس

غلوري ، وديدميول كانيون ، وشِرْتيل كانيون ، وسيلورز سلايد ، وتشاكل هد ديكنفز ؟ » .

وفجأة قال آخر وكأنه صحا من غيبوبة طويلة : « أوه . إني أتذكر الليالي الباردة والأيا مالحارة أيضاً ، وإني لأكاد أشم رائحة لحم الخنزير وأسمع الفتيان وهم راجعون مع مغيب الشمس يضجون وينشدون الأغاني » .

ثم أخذ أحدهم يغني بصوت متهدج : « اه سوزان » .

كان هؤلاء المسنون يستندون بكراسيهم الى الجدار المتداعــي لصالون لاست تشانس « الفرصة الاخــيرة » ويتسمون لبعضهم بكل ودٍ وهم يعودون الــى الماضي . ويقول أحدهم : « أخبروني ، هل سمعتم بتلك الكتلةالذهبية التي وجدها رجل يدعى (هانس) بينما كان يلحق بدابةتائهة في كارسون هِلْ ؟ لقد وجد قطعة تزن ١٤ رطلاً انكليزياً . وفي كاريسون هِلْ أيضاً ألتقطت أكبر قطعة من الذهب وجدت في أميركا إذ كانت تزن ١٩٥ رطلاً انكليزياً ، قيمتها ٤٠ ألف دولار » .

لم يتسن لهؤلاء المسنين أن يحصلوا على كثير من الذهب في تلك المنطقة البراقة . لقد خرجوا في نهاية كفاحهم بمــا لايزيد عن الملابس التي يرتدونها . ولكنهم ككل من أتى ونقب وغنى في موطن الذهب حملوا في طيات نفوسهم ذكرى عربدة وثورة ومغامرات وصداقات تتراقص حية في هدوء شيخوختهم . وكل من أمَّ تلك المنطقة الغريبة من أطبــاء

وحدادين ومن تجار وسياسيين وكتاب وأطباء أسنان وموسيقيين ضم الى نفسه الذكريات مالا يبيعه بالذهب •

كان كلٌ من هؤلاء الشيوخ لايزال يأمل في أن يذهب ويعود بكتلة من الذهب ، بل وبكوم منه • كانت هذه الفكرة لا تزال راسخة في ذهن كلٍ منهم • انهم لا يرضخون طالما أن ذلك البريق يتراقص أمام أعينهم الحالمة ويغمر القلة الباقية من عمرهم بهالة أمل ذهبي طالما دفع الرجال من مختلف أصقاع الارض من المانيا والبيرو والصين وسكوتلاندا ومن كافة انحاء الولايات المتحدة الى هذه الارض الموحشة البديعة •

ذهب ! في كاليفورنيا • « ماهذه كاليفورنيا ؟ انها بلد الذهب » !•

كتب صدرت عن :

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

مجمل تاريخ العالم
ف.م. هلير
ترجمة : ابراهيم ميخائيل عوده
٣٥٠ قرش

❋

تبسيط العلوم للاحداث
غلين بلاو
ترجمة : سليم سلامة
٢٥٠ قرش

❋

قفزة فريدة في الطيران
جوزيف كتنجر و مارتن كايدن
ترجمة : عبد الرحمن مراد
٢٠٠ قرش

❋

هذا الكوكب المزدحم
مارغريت هايد
ترجمة : ابراهيم ميخائيل عوده
١٠٠ قرش

الرقص في أميركا
وولتر تيري
ترجمة : اورخان ميسر
٢٥٠ قرش

❋

ذلك السلام الصعب
جوست ا.م ميرلو
ترجمة : عادل عبهري
٢٠٠ قرش

❋

ماذا يجب على كل امرأة أن تعلم
آ . ف دراك
ترجمة : جبران بشارة
٢٥٠ قرش

❋

معالم الحرية
ميلتون ميلتزر
ترجمة : أحمد عزة طه
٢٥٠ قرش

المواطن والمجتمع

هيرمن هيجدرون
ترجمة : الدكتور سليم سلامه
٢٥٠ قرش

*

الاجناس والشعوب

بويد ــ أزيموف
ترجمة : ابراهيم عبود
٢٥٠ قرش

*

نســاء عالمات

ادنا يوست
ترجمة : ابراهيم عبود
١٥٠ قرش

*

المــــراهق

مارجوري كنــان رولنجز
الدكتور سليم سلامه
١٠٠ قرش

*

قصة سان فرانسيسكو

شارلوت جاكسون
ترجمة : نصرت نصار
١٥٠ قرش

الصواريخ والقذائف والاقمار

شارل كومبز
ترجمة : ابراهيم عبود
١٥٠ قرش

*

كارولين وجوهره

ماري اوهارا
ترجمة : سليم سلامه
٣٠٠ قرش

*

شجاعة السعادة

دوروثي طومسون
ترجمة : تماضر توفيق
٤٥٠ قرش

*

البحر أم الجبل

ثلما هارينفتون بل
ترجمة :
أودفيك جريديني شيبوب
٢٠٠ قرش

*

قصة اكتشاف الذهب

تأليف : ماي مال نير
ترجمة : فاروق يازجي
١٥٠ قرش

موسيقى الجاز

مارشال ستيرز

ترجمة : أورخان ميسر

٢٥٠ قرش

❋

زيادة ثروة الشعوب

البرت لوترباخ

ترجمة : ابراهيم ميخائيل عوده

١٠٠ قرش

❋

أبحاث في الطب الحديث

الدكتور ادوارد بيطار

٢٠٠ قرش

❋

المناعة والمرض

الدكتور علي عباسي

الدكتور ادوارد بيطار

٢٠٠ قرش

❋

مصير البشرية

ليكونت دي نوي

ترجمة :

احمد عزت طه عصام أحمد طه

٣٥٠ قرش

اليونيسكو

أيلاجريفين

ترجمة : سهيل أيوب

١٠٠ قرش

❋

أمراض الكلية

الدكتور ادوارد بيطار

٣٠٠ قرش

❋

رحلة الى عالم مجهول

جوليا ديفيز

ترجمة : ابراهيم عبود

مقدمة : أ. ظافر كوجان

١٥٠ قرش

❋

بحث في الحرية

جون ستيورت مل

ترجمة : الدكتور نعيم الرفاعي

٢٥٠ قرش

❋

صباح الخير ، يا آنسة دوف

فرانسيس ج. باتون

ترجمة : أحمد عزت طه

١٢٥ قرش

ابراهام لنكولن محرر العبيد

جيمس هـ . دوجرتي

٣٥٠ قرش

❋

ولاياتنا الخمسون

ايرل شنيك مايرز

ترجمة أحمد عزة طه

٤٠٠ قرش

❋

الحرية والكرامة الانسانية

محمد زكي عبد القادر

٤٥٠ قرش

❋

هل ينقذنا العلم

جورج أ. لندبرغ

ترجمة :

الدكتور أمين أحمد الشريف

٢٥٠ قرش

❋

الشعر والتجربة

ارشيبالد مكليش

ترجمة :

سلمى الخضراء الجيوشي

٣٥٠ قرش

خمسون قصيدة

من الشعر الاميركي

اختارها وترجمها وقدم لها

توفيق صايغ

٥٠٠ قرش

❋

الحكومات البرلمانية

جون ستيورت مل

ترجمة : إميل الغوري

٣٥٠ قرش

❋

حرب صليبية في أوربا

الجنرال دوايت ايزنهاور

ترجمة : ابراهيم عبود

٣٥٠ قرش

❋

الاعجوبة العاشرة للطاقةالنووية

كاريتون بيرل

١٠٠ قرش

❋

ابراهام لنكولن حياته ورسائله

بول انجـل

٣٠٠ قرش

هــــذا الكتــــاب
ملك الأستاذ الدكتــور
رمـــزي زكــي بطرس

هذا الكتاب :

تقدم « قصة اكتشاف الذهب » صورة رائعـــة عن الصراع المرير الذي قام به الأوائل لاكتشاف الذهب واستخدامه في سبيل رخاء انفسهم وبلادهم ، كما انها تصور بصدق وامانة الحياة في الايام الغــابرة ، ايام الذهب ، عندما اندفع الشباب نحو الغرب وفي ايديهم الفؤوس والمعاول والمجارف بحثا عن الثروة وسعيا وراء حياة افضل .

يشعر القارئ انه يعيش بين ابطال القصة ، انهم شخصيات حية لا تنسى ، قارعوا الصخر فتغلبوا عليه، وصارعوا الطبيعة القاسية فانتصروا عليها ، وناضلوا من أجل ان يستتب القانون ويسود السلام و بين الفئات المتعددة التي جاءت بحثا عن الذهب الرغيف .

انها قصة جديرة بالقراءة والاقتناء .

الثمن : ليرة ونصف